fb/mashro3pdf

# ليل مدريد

سيد البحراوي

رواية

# التجليات

*Al- tajallyat*

## ليل مدريد

fb/mashro3pdf

**الكتاب:** رواية

ليل مدريد

**المؤلف :**

سيد البحراوي

**الطبعة :**

الأولى: ٢٠١٣م

رقم الإيداع :٢٠٧٠٠

**تصميم الغلاف :**

فحطان الفرج الله

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الناشـــر: التجليـــات للنشـــر والترجمة والتوزيع

القـــاهر/ المســـاحة فيصـــل/ت ٠١٠٦١١١٥٥٩٢/ إميل

altagalyat2012@gmail.com

المحتويات والأفكار لا تعبر بالضرورة عن رأي التجليات؛ بل إنها تعبر عن أراء المؤلف

تقدم التجليات رواية

# ليل مدريد

## سيد البحراوي

fb/mashro3pdf

# ليل مدريد

رواية

سيد البحراوي

التجليات ٢٠١٣

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الثالثة صباحًا. ليل مدريد قاس. أنتظر — وحيدة — موعد السحور. علاء نائم على السرير، وأنا مستلقية على فوتيل مجاور. ضوء خافت. وأنا بملابس النوم. لن يأتيني أحد بعد الآن. التليفونات أيضًا توقفت قبل ساعة. حتى الصائمون مثلي لا ينتظرون موعد السحور، يأكلون في أي وقت وينامون. وراءهم أعمال غدًا. أنا ليس ضروريًا أن أكون مستيقظة تمامًا في عملي. لاشيء يستحق اليقظة. والنوم أصبح عزيز المنال.



fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

أكتب لنفسي "لنفسي فقط"، فربما استطعت أن أفهم ما أنا فيه بعد ذلك الوصف الفظيع الذي قدمه الطبيب النفسي لحالتي. ليس مهما اسم المرض الذي ألصقه بي، وليس مهما شكه في إمكانية العلاج السريع، أريد أن أقول له أنه لا يفهم شيئا، وأنني أنا الوحيدة التي أستطيع أن أفهم نفسي ومشاكلي، قد أكون مريضة لأني فعلا تعبانة، ولكن ليس بالمعني الذي أفهمني إياه.

اسمي هناء. ولست أذكر أنني تمتعت – يوما ما – بهذه الصفة ولست أعرف لماذا سميت بهذا الاسم، فلم يكن لدى أهلي الوقت لكي يحكوا لي كثيرًا من الأشياء التي سمعت من بعض زميلاتي أنهن قد عرفنها من أهلن. فقد كان لديهم من المشاكل ما يصرفهم عن أن يهتموا بي أو حتى بأخي وأختي اللذين جاءا بعدي إلى الدنيا. ومع ذلك من الغريب أن يسمياهما أيضًا "رضا" و "صفاء".

لست هنية. هذا لا يكفي. فأنا أعرف ما هو أكثر من مشكلتي بل أكاد أؤكد أنني أعرف بالضبط ما هي المشكلة. أعرف أنني أعيش حالة ضياع كامل. لا أعرف من أنا، ولا ماذا أريد، ولا ماذا أفعل بحياتي.

أعيش اليوم كله مشحونًا بالعمل وإعداد الطعام والعناية بعلاء قدر ما أستطيع لكني – في هذا كله – أسير كالآلة التي لا تدرك ماذا تفعل. هي صيرورة نظمها خالقها سبحانة وتعالى وهي تسير بحكمته دون أن تدري هذه الحكمة وأسرارها.



fb/mashro3pdf

أشعر دائمًا بالإرهاق. ليس الإرهاق الجسماني، بل الروحي والنفسي وحين أفكر في كيفية الخروج من هذه الحالة، لا أجد مخرجا، ليست لدي رغبة في شيء، متعاتي الصغيرة السابقة، الشراء، شراء الملابس، أدوات الماكياج، والتجميل، والأفلام، لم تعد مغرية. فلم يعد هناك ما يدعو للاهتمام بما ألبس وكيف أبدو. انتهت أيضًا الرغبات العميقة الممتدة. الحب والشهوة، لا، الحب أساسا.... أم هي الشهوة أيضًا؟ لا أدري.

هل أنا شهوانية حقًا؟

جميعهم قالوا عني ذلك. ومع ذلك لم أستطع، ولم يستطع أحدهم أن يدخلني أبدًا. زوجي فقط، أقصد زوجي السابق، وكان دخوله مؤلما. ولا أظن أنني استمتعت.

في المقابل كنت مع الآخرين أذوب نشوة لمجرد دغدغة حلمة الثدي. الثدي الأيسر، أما الأيمن، فقد كان مخصصا لفترة طويلة – ومازال – لعلاء، طفلي الجميل الذي لا أدري أن كنت قد أحببته أم كرهته. ولا أدري أن كان يحبني أم يكرهني بعد ما عاش معي كل ما عشت؟ هل أثر فيه هذا المشهد الذي تكرر مرارًا، حينما كان يلعب بجواري، وأنا أحب عبر التليفون؟ لو كان يكرهني فربما كان له الحق.

لماذا يكون له الحق في أن يكرهني، ماذا كان يمكنني أن أفعل وأنا الشابة الجميلة الشهية التي لم تكن تطيق أباه، هذا الحشاش الشاذ، الذي انشغل برفاقه عني، وليته كان بعيدًا، كان يأتي بهم إلى بيتي الذي اشتريته من مالي، أقصد مال أبي، وأنثته على ذوقي. وصل الأمر إلى حد توسيخه بهؤلاء الأنطاع، السباك والبواب والميكانيكي!.

ألم يكن التليفون أفضل من الاتصال المباشر. لم أكن أستطيع الاستمرار حتى النهاية مع أحد. حينما يصل الأمر إلى ذروته كنت أجد الحجة المناسبة للهروب. ولكني كنت أتعذب وأحاول ألا أظهر عذابي. لم يكن أمامي إذن إلا التليفون. أكون وحدي بعد

fb/mashro3pdf

أن ينام الجميع، أو يسهر محمود في الخارج. وإذا كان ابني حقًا، فيجب — حين يكبر — أن يقدر مشاعري واحتياجاتي بصراحة كانت أسعد أوقاتي، حيث تجتمع المتعتان الحب عبر التليفون وطفلي الحبيب بجواري.

شعري جميل، مسترسل وناعم، لم أقصصه أبدًا، كانت أمي تحبه هكذا وكان ينساب على جانب وجهي محاذيًا خدي الرقيقين مبرزًا صورة ملائكية لكنها لا تخفي الشهوة في عيني.

غريبتان هاتان العينان. مزج من الشهوة والتصوف والحلم.

حينما تكونان صافيتين، تكون خضرتهما شعاعا لا يملك الآخر، بل وحتى أنا، الفرار منه.

أشعر — حينما أكون هادئة ومستريحة، أن وجهي بتقاطيعه المنمنمة وشفتي الرقيقتين هو جزء طبيعي من جسمي، فله نفس الحجم الصغير الخفيف، ولكن هذه الأرداف اللعينة الممتلئة لا أقبلها إلا في حالتين حالة الصفاء المطلق، وها هو قد ذهب إلى الأبد. وحالة اليأس المطلق. في حالة الصفاء المطلق، كنت أراها كاحتياج تقليدي قديم كامن بداخلي إلى نموذج المرأة الجميلة المريحة في الجنس، المهم أن يكون وسطي ضيقًا. في هذه الحالة تساعدني سيقاني القوية ونوع الأحذية الخفيفة التي ألبسها والجونلات الواسعة الطرية، على أن أتحرك بخفة، فأبدو نشيطة، وتصبح هذه الأرداف في اهتزازاتها الواضحة الخفية مصدر إغراء، ولكنه يبدو غير متعمد، في حالة اليأس، كما أنا الآن، لا أملك إلا القبول، ليكن ما يكون، ليس مهما، ليس هناك أحد يهتم بأن تكوني رشيقة أو سمينة، سافرة أو محتشمة.

fb/mashro3pdf

لا أذكر الآن ماذا كنت أفعل قبل الحجاب. أظن أنني لم أكن أبدا خليعة في ملابسي، ولا صارخة في مكياجي، ربما كنت – حتى – أكثر هدوءًا وخجلًا مني الآن، فالآن يبدو لي حجابي أكثر خلاعة من سفوري. فأنا دون قصد أرتدي بلوزات تكشف عن جزء من نحري، رغم أن الإيشارب يغطي الرأس والأذنين وكل الرقبة. أظن أنه قد أن الأوان أن يتحول الحجاب إلى نقاب أو حتى خمار.

كانوا يقولون عني دائمًا أنني أجمل من أمي رحمها الله ولم أكن أصدق. فوجه الشبه بيننا كبير جدًا، كان الفراق الوحيد هو حجم الجسم. كانت طويلة وأكثر امتلاءً، أما أنا فقد ورثت القصر والنحافة نسبيًا من أبي. الحمد لله أنني لم أرث منه الوجه. فرغم أنه ليس قبيحا، إلا أن وجه أمي كان أجمل كثيرًا. ولا أدري لماذا قبلت أن تتزوجه وهي بهذا الجمال والأنوثة وهو بهذا القصر والوجه المتغضن الماكر. لا شك أن هذا الفارق كان أحد الأسباب الجوهرية للمشاكل الفظيعة التي كانت بينهما ويخيل إليّ أنها أهم المشاكل.

فالعلاقة الزوجية، أقصد علاقة السرير هي الجذر، رغم أن المشاكل الاجتماعية وخلافات الأفكار هي التي كانت تبرز على السطح دائمًا في شجارهما، في بعض الأحيان كنت أشعر وأنا صغيرة جدًا أن هناك شيئًا غامضًا وراء الشجار، وأن هذا الشيء، يزداد مع الوقت.

كان الشجار يثور لأتفه الأسباب. لكن الشجار ليس هو المهم فقد كان يهدأ سريعًا، بانسحاب الأب، المشكلة كانت في الخصام الدائم، الاحتقار الذي تحمله عينا الأم دائمًا، ونوع غريب من الذلة أو الخنوع يكسو وجه الأب. لا أدري متى حمل وجه كل منهما هذه المشاعر والتعبيرات؟ لا أدري جيدا هذا الوجه لأبي قبل أن يسافر، صحيح كنت صغيرة، سنتان أو ثلاث. ولكن تبقى في مخيلتي صورة لرجل باسم الملامح. بعينين

fb/mashro3pdf

براقتين. أذكر أنني كنت أحبه وكان يبدو عاشقًا لي، يضمني بين ذراعيه حينما يراني مذعورة بعد الشجار ويحتضنني بشدة وكان حضنه الدافيء الحنون يعيد إليّ هدوئي، فألوذ به مستنيمة إلى خدر لذيذ يسري في خلايا جسدي، أشعر به ينتقل إليه، وكنت أرى أمي مغتاظة إلى درجة أنني كنت أظن أن هذا العشق كان أحد أسباب كره أمي المتزايد له. لكنه، وخاصة في العام الأخير لم يكن يملك الوقت أو البال ليسعى إلي ليحقق عشقه الذي كنت أتوق إليه.

فيما بعد عرفت، وهو في السعودية، أن ذلك العام، كان العام الكئيب الذي حاصره وحاصر إخوانه فيه البوليس. كان مطلوبًا القبض عليه مثل الآخرين، ولكنه نجح في الهروب وبقي هناك سنوات طوالًا. وحينما عاد كنت في الجامعة.

لم تكن علاقتي بأمي طيبة أبدًا. فرغم شبهي بها. فإن حبي لأبي فيما يبدو جعلها تعتبرني ابنته، ممثلته، واعتقد أنني أيضًا كنت أكرهها لأنها تكرهه، وعلى نحو ما كنت أعتبرها مسئولة عن غيابه. وحينما قررت أن أرتدي الحجاب – أظن قبل عودته بعام – دخلت معها في معركة عنيفة، وكان واضحا لي آنذاك أنني أنتقم لأبي منها. فقد كانت الدوافع التي قادتني إلى الحجاب غير واضحة بالقدر الكافي لي.

أتذكر الآن هذا الجزء من خطاب هام أرسله إليّ أبي وأنا في الثانوية، كان أول خطاب يأتي إليّ باسمي الخاص في المنزل، وكان أول كلام هام يشعرني أنني إنسان كبير عليه أن يحمل مسئولية وأن يفكر ويدرك معنى ما يعيش :

" ابنتي العزيزة هناء.

أظن أنني أستطيع الآن أن أتحدث إليك كشخص كبير وناضج، يستطيع أن يفهم تلك الأشياء التي كتمتها عنك طوال الفترة الماضية. فرغم أنك كنت دائمًا ذكية



fb/mashro3pdf

ولماحة وحساسة، فقد ظننت أنني لابد أن أصبر حتى تكبري لتفهمي وتقدري جيدًا حجم المعاناة والألم اللذين تحملتهما خلال تلك السنوات.

أعرف جيدًا كم تعانون من غيابي أو تحنون إليّ. وخاصة أنت وأختك. أمك موضوع آخر، ربما أحدثك عنه فيما بعد، لكن أنتم، وأنت بالذات بكريتي وأنثاي الحقيقية. أشتاق إليكم. وأشعر أنني أذوي بعيدًا عنكم ولكم ما باليد حيلة.

سوف يأتي الوقت الذي تعرفين فيه كم كان ضروريًا أن أسافر. أن أهرب. كان البديل هو السجن وسوف يأتي الوقت الذي تعرفين فيه معنى سجن الطغاة. قد يكون السفر سجنًا آخر لأنني بعيد عنكم ولا أستطيع رؤيتكم، وأمكم قررت ألا تأتوا لزيارتي. لا بأس. ولكنه سجن مقبول إلى حد ما، فنحن هنا بجوار رسولنا الكريم، والمملكة تسمح لنا بحرية الوجود والحركة. وبالإضافة إلى ذلك أحصل على المال الذي نحتاج إليه والحمد لله.

ابنتي الحبيبة هناء.

أنا واثق أنك تعرفين كم أحبك، وأعرف كم تحبينني، مازلت أذكر تلك النشوة التي كانت تصيبني حينما كنت آخذك في حضني وأنت تبكين بعد شجارنا أنا وأمك سامحها الله، أريدك أن تعتمدي على هذا الحب في مواجهة حياتك، الآن أنت شابة جميلة في مقتبل العمر، وعليك أن تحافظي على نفسك وأن ترعي أخويك وأن تتمسكي بدينك فلا ملاذ لنا سواه. وتذكري أننا حينما كنا متمسكين بديننا، كنا قوة لا يستهان بها، ولا تستطيع أي قوة أن تقف في مواجهتنا، فتحنا الأمصار حتى وصلنا إلى الأندلس في الغرب وإلى السند في الشرق، وهناك بنينا بإيماننا أمجادًا لم تزل حتى الآن، ولن تزول أن شاء الله حتى يوم الساعة. لأن الله يرعاها.

fb/mashro3pdf

ملحوظة: مرفق لك حوالة بمبلغ من المال خاص بك أنت، أتمنى من الله أن تكوني قادرة على إنفاقه فيما لا يغضب الله.

كنت – والحمد لله متدينة – وأجتهد في معرفة ديني وبيني وبين ربي علاقة خاصة لا أظن أنه أو أحدا من أهلي أو زملائي يعيش مثلها في لحظات الصفاء. ولكني في نفس الوقت، جميلة وأحب جسمي وخاصة وجهي وشعري هذا الذي قررت أن أحرم أمي منه فكنت ألبس الحجاب حتى في البيت، ولم أكن أرى السفور ضد الدين، ومع ذلك لبست الحجاب.

لم أكن فقيرة مثلما كانت زميلاتي المحجبات في الأقسام الأخرى في الجامعة، أقسام الأعداد الغفيرة آنذاك. فقد كانت أمي غنية ورثت أرضا ومالًا. للحق كانت كريمة معنا، وتضاعف الثراء، مما كان أبي يرسله من مال تعويضًا عن فقره السابق وعن غيابه الدائم. لذلك كان معي باستمرار كثير من المال، أنفقه بحرية لأشتري لنفسي، وأحيانًا لأخوتي ما أشاء.

كنت أذهب إلى كافتيريا الكلية وأدعو زميلاتي وزملائي، وكنت أذهب معهم في الرحلات القصيرة، حيث لم يكن مسموحًا لي بالمبيت خارج المنزل، أظن أنني قضيت ليلة عند زميلة لي مرة أثناء مذاكرة الامتحانات. كنت خجولة، لكني بملابسي وجمالي ومكياجي أبدو حرة. وكان هذا مع ثرائي مصدر إغراء لزملائي للتقرب إليّ ومغازلتي. لكني كنت أراهم أطفالا صغارًا.

وكان هذا يبعدهم عني، فيما عدا زميل واحد ظل حريصًا على الاقتراب مهما صددته لكنه كان لطيفا. كان اسمه حمدي عبد الرحمن كان أقربهم إلى النضج، وكنت أرتاح إليه في الأعماق، ولكن ملازمته للطلاب الاشتراكيين جعلني ابتعد عنه. فمع أني أحب أن يسود العدل بين الناس، فلم أكن أرى أن الملحدين هم الذين يمكن أن يحققوه.



fb/mashro3pdf

المهم ذات صباح في ربيع عامي الثاني بالكلية وجدت نفسي أتوجه إلى محل جديد قد افتتح، كان اسمه مغربًا، السلام شوبنج سنتر لملابس المحجبات، ومن هناك عدت إلى منزلي بعدة أطقم من الإيشاربات والبلوزات الحشمة وكذلك الجونلات. ويومها انتهت صلتي إلى الآن بالجيب والبنطلون والتي شيرت، ولكنها لم تنته بالملابس الداخلية الرقيقة الأنيقة ذات الألوان الزاهية وخاصة الحمراء. وأحيانًا أشتري قمصان نوم خاصة لرجل بعينه، وأحب أن ألبسها له وحده دون غيره، وإن كنت لا أخلعه له ولا لغيره وإنما لي وحدي وأمام مرآتي. آه. حتى هذا لم يعد يسعدني الآن. حين عدت في اليوم التالي إلى زميلاتي وزملائي بقسم اللغة الإسبانية، وقد ارتديت الزي الجديد، كان الوضع مضطربًا جدًا، فقد كنت أول طالبة في القسم ترتدي الحجاب، بعضهم وبعضن نفر مني، والبعض الآخر وخاصة ممن يميلون إلى الجماعات الإسلامية فرحوا بي جدًا وبدا أن الحجاب قد فتح لهم أفقا جديدا معي. ولكن ما شغلني أكثر هو الزميلات اللائي بدت عيونهن مبلبلة ومهتزة، تبدو رافضة، ولكن بداخلها شوق عميق إلى ذلك الشيء السحري الذي بات فوق رأسي وكأنهن كن يتقن إليه من زمن بعيد دون أن يستطعن الوصول إليه.

كنت قد اخترت الدراسة بقسم الإسباني وإن لم تكن رغبة قديمة لدي. لكن هذا هو الطريق الذي قادتني إليه طريقة أمي في التعليم، فبعد سفر الأب وجدت أمي الطريق أمامها سهلا لتضعني في مدرسة فرنسية، وبعد سنوات طويلة من الدراسة بالفرنسية لم أرغب في استكمال الطريق إلى فرنسا. مع انتهاء الدراسة الثانوية، وبقراءات قليلة كنت قد بدأت أحلم بإسبانيا المجد الإسلامي القديم الذي أشار إليه أبي في رسالته فدخلت قسم إسباني.

وكان هذا قدري ومصيري الذي قادني إلى ما أنا فيه الآن.



fb/mashro3pdf

كان خالي شابًا وسيمًا، كنت أراه – حتى – جميلًا، ورث مثل أمي عن أبيها كثيرًا من الملامح التي ورثتها – بدوري – عنها. كان يكبرني بحوالي عشر سنوات. ورغم أنه أخو أمي فإن علاقته بأبي كانت لطيفة. أستطيع أن أذكر الآن كيف كان يهش له أبي حينما كان يأتي لزيارتنا قبل أن يسافر أبي، وحينما سافر، استمر في المجيء عندنا لأنه كان أصغر أخوالي، وبالتالي الوحيد الذي لم ينشغل بأسرة وأطفال. كان ما يزال طالبًا في الثانوية، بعد ذلك درس الطب وتخرج وأصبح طبيبًا ناجحا وله الآن زوجة وطفلان.

في بعض الأحيان كان يبيت عندنا، في حجرة أبي التي كان قد اعتاد قبل سفره أن ينام فيها وحيدًا. الآن هي مغلقة. فليس بها ما يجذبنا، سرير ومكتبة بها بعض الكتب الدينية، ومكتب. إلى مكتب أبي كان يجلس خالي " خالد " يذاكر دروسه، تاركًا الباب مواربًا، فهو ليس في بيته. من هذه الفتحه، بدأت أتلصص عليه حينما لا يأتيني النوم. كان جادًا لا يفارق المكتب وكان هذا يدهشني ويجعلني أتساءل كيف يصبر على البقاء على مقعده كل هذا الوقت، وأنا لا أستطيع مواصلة المذاكرة أكثر من ساعة، ودون مكتب وأنا مستلقية على بطني فوق السرير.

بصراحة اعجبتني شخصيته (هل كنت أفهم هذا المعنى في ذلك الوقت؟ ). ولأني أكبر أخوتي بدأ اهتمامي به يزداد.. فأنا أستطيع أن أعد له الشاي بدلًا من أمي أو بدلًا منه. أستطيع أيضًا أن أوقظه في الصباح إذا طلب مني ذلك. أستطيع – إذن – أن أنقر الباب وأدخل غرفته مساءً لأسأله أن كان يريد شيئًا، أو لأسأله أن يشرح لي بعض



fb/mashro3pdf

الأشياء الغامضة، ولا هي غامضة ولا حاجه (هل كنت أعي ذلك؟) وكان هو يشرح لي بهدوء، وثقة، وابتسامة من يدرك القصد.

صرنا أصدقاء إلى درجة أن ألفتي بغرفتي، مع أختي واخي تضاءلت، وصرت أقضي كثيرا من ليلي في غرفته. أجلس مع كتابي في مواجهته أو صامتة لأتركه يذاكر لو لم يكن لدي واجب. ومع الوقت أحضرت مائدة شاي صغيرة ووضعتها في مواجهة مكتبة لأؤدي عليها واجبي، لأقلده ولم يعترض. وبدأت الليالي التي لا يأتي فيها إلينا تصبح معذبة بالنسبة لي، وخاصة أنه كان يتركني مع أمي التي صارت شديدة التوتر، بعد سنوات من غياب أبي وعدم وجود من تتشاجر معه سواي، على الأقل كان خالد يحمل عنا عبء بعض المشاجرات، أنا واخوتي.

ذات ليلة، وقد جاء خالد، وبعد المذاكرة قال :

*يالله روحي نامي أنا حانام.*

*قلت، لا مش هسيبك الليلة دي، أنت سبتنا خمس تيام، لازم تعوض غيابك عنا، ها أنام معاك هنا.*

في هذه الليلة شعرت بحنان لم أعشه أبدا في حياتي قبل ذلك كان هناك ما يذكرني بحضن الأب وذراعيه تضماني بشدة، لكن كان هناك شيء آخر، هناك دبيب ما يسري في عروقي، يشعل شيئًا في جسدي لم أعرفه من قبل، كان الظلام تاما، كنت أستطيع أن أشعر بتوتر غريب يعاني منه خالد ويحاول أن يكبته ضم صدري بين ذراعيه وساقي بين ساقيه، وظل يضغط بهدوء وصمت مع انفاس متلاحقه لكنها لم تكن مزعجة بالنسبة لي، فقد كنت – رغم الألم الخفيف – مستمتعة باسترخاء لم يحدث لي أبدًا، إلى

fb/mashro3pdf

درجة أنني نمت بين ذراعيه، ولم استيقظ إلا في الصباح، لأجد نفسي في السرير ولأرى أمي تخبرني، أنها استيقظت هي أيضًا ولم تجده.

غاب خالد هذه المرة أسابيع طويلة، كنت خلالها أكتشف أشياء غريبة عني وعن العالم، أكتشف أجزاء من جسمي لم تكن موجودة قبل ضمة خالد. وأحاسيس غريبة تنتابني لم أكن أعرف عنها شيئًا قبل ذلك، وفهمًا غامضًا لنظرات أمي، تتجاوز الكره القديم لتصبح عداءً حقيقيًا، بل ومواجهة حادة في بعض الأحيان بل بدات أعي أشياء وعبارات في الشارع وفي المدرسة لم أكن ألتفت إليها قبل ذلك أبدا.

عجيبة هذه الضمة الطويلة الهادئة المتزايدة، ضمة خالد الذي اختفى ومع ذلك لم أبحث عنه. جاء وحده بعد أسابيع خافض النظرات وكنت أشتاق إليه. حاول أن يبعدني عنه بكل الطرق، ولكني كنت قد كبرت وشعرت أن لي عليه حقا. أنني أمتلك جزءًا منه ولم يستطع أن يقاوم وظل يأتي بانتظام من أجلي بالتأكيد حتى انتهى من الدراسة الثانوية، ولم يحصل على مجموع يدخله كليه الطب التي كان يتمناها. فأرسله أبوه إلى كلية الطلب في المجر، وتركني وأنا في التاسعة من عمري، لكني لم أتركه، ولست أدري إلى الأن أن كنت سأستطيع أن أتركه أبدًا.

كان مستحيلًا أن أتخلص من خالد. وكنت أبحث عنه في كل من حولي. وكان مجالي الوسيع هو أستاذتي في المدرسة، وقد وجدته فعلًا عدة مرات، في مدرس المواد الاجتماعية في الإعدادية وفي مدرس الفلسفة في الثانوية. ولكني لم أستطع أن أنالهما، رغم أنني أخذت مع كل منها دروسًا خصوصية في نفس غرفة خالد. لم ينلني من الأخيرة، سوى قبلات قصيرة، وأحضان سريعة، لم تعوضني أبدا عن قبلات خالد وأحضانه المديدة

fb/mashro3pdf

التي انتهت في بعض الأحيان إلى ركوبه فوقي واهتزازه يمينًا ويسارًا لمدة طويلة، ومد يده إلى فخذي وما بينهما، تحت جلبابي الرقيق قبل أن يهدأ أخيرًا، وينام وديعًا بين ذراعيّ.

في هذه اللحظات كنت أشعر أنا الطفلة الصغيرة أنني قد أصبحت أمه وهو شعور ظل يلازمني مع كل من احتضنت من الرجال بعد ذلك، ومع علاء أدركت إلى أي مدى هو شعور جميل، بالنسبة للأم، وضروري بالنسبة للطفل.

ذات مرة وحين كنت أعبث في أدراج مكتب خالد، بعد أن سافر، وجدت ورقة يبدو أنه قد نسيها تحوي اعترافا خطيرًا:

"هذه البنت خطر كبير. إنني لم أعد قادرا على مقاومتها. غضاضة أطرافها، ولين أعضائها تعطيني شعورًا غريبا لم أجربه مع النساء اللائي عرفتهن. الخادمة كانت أكبر مني. وكانت مدربة وقوية، كانت تضغط علي بما لا أحتمل. ربما كنت – آنذاك – مازلت صغيرًا. ابنة الجيران لم تتح السلالم والظلام فرص الاستمتاع بها، بما يكفي. مع هناء – رغم شعوري بالخطيئة والذنب – كنت أستمتع حتى النهاية، وكانت هي أيضًا تبدو مستمتعة، وقادرة على الإمتاع بهدوء وصمت، لم تكن تبدو لي خائفة من أمها، ولا أن لديها شعورًا – مثلي – بالذنب. لا أدري ماذا ستفعل هذه الشيطانة في المستقبل. لقد أحببتها حقًا وأرجو ألا أكون سببًا في تدمير حياتها. على كل حال، لست قادرًا على مقاومتها حتى الآن".

أسعدني أن أعرف أنه كان مستمتعًا، وأسعدني أكثر تعبيره عن أنه كان يحبني، وهذا الشعور جعلني – رغم بعده – أظل متعلقة به باحثة عنه، دون أن أجده.

فيما بعد.. فيما بعد وجدت خالد.



fb/mashro3pdf

كان قد عاد من بعثته. ولكن كانت معه شقراء وطفلة جميلة، وبدا كما لو كان قد نسيني. وكنت أنا بالفعل قد نسيته. كنت قد أصبحت إنسانة أخرى. لم أعد طفلة، كنت على وشك الحصول على الثانوية العامة، وعرفت آخرين يشبهونه، وإذا كانوا لم يعوضوني عنه، فإنه هو نفسه، لم يعد قادرًا على أن يعوضني عن نفسه فقد ظلت حاجتي إلى ما زرعه في لا تروى مع أي أحد وبأي حال من الأحوال. كانت شيئًا غامضًا عميقًا غريبًا وغير مفهوم، ولكنه قوي وممتد، كأنه تخلل خلايا الدم والروح.

مع دخولي الجامعة كنت أكبر من سني على الأقل عاطفيا ولذلك كانت عيناي تجولان خارج صفوف زملائي الطلاب إلى منصة التدريس وللأسف كان معظم من يدرسون لنا من النساء ولم يكن لدينا سوى مدرس واحد انصبت عليه أنظار كل البنات. رغم أنه لم يكن شبيهًا بخالد، فقد حاولت التقرب إليه ولكني لم أنجح.. وربما لم أكن أرغب بجدية في النجاح كنت مشغولة طوال السنوات الأربع بالإسبانية وبالرحلات القصيرة وبمتعة الجنس المستقل التي علمتني إياها واحدة من زميلاتي. هي متعة حقيقية، لكنها مؤلمة إذا لم تنجح، بالإضافة أنها محرمة في الغالب. على الأقل عند بعض الجماعات الإسلامية التي سمعت أيضًا أنها تحرم الموز والخيار عندهم حق، فأنا كنت أحيانًا قبل أن آتي إلى إسبانيا، أستخدمها بالإضافة إلى إصبعي. يقولون أنه سيصبح شاهدًا عليّ يوم القيامة.

في بعض الأحيان حين يغلبني اليقين بأن العادة السرية حرام كنت أستسلم للسحاق، الذي كان قد انتشر بين زميلاتي في تلك الفترة، فهذا السحاق لم أعرف عنه التحريم بل بالعكس سمعت أن هناك نساء عربيات كن يمارسنه من قديم، ولكني أنا شخصيًا بصراحة لم أستمتع به، فليس فيه الولوج الذي أخاف منه وأشتهيه، وليس فيه حتى الضخامة التي كانت تواجه ما بين فخذي مع خالد.. قد يكون فيه الحنان والرقة،

fb/mashro3pdf

ولكن ليس فيه الإثارة ولا العنف اللذيذ مع الرجال (ترى هل أضطر للعودة إليه في حالتي الراهنة؟).

لم أرتح للطريق الذي سارت فيه كثيرات من زميلاتي في القسم وفي الكلية، وسمعت أنه قد انتشر في الجامعة كلها أقصد الزواج العرفي. لم أكن في ذلك الوقت راغبة في الارتباط الدائم، وخاصة أن خالي كان ما يزال في خيالي، بالإضافة إلى أنني خشيت الحمل والمشاكل التي ستنجم عنه، ولم أستطع أبدا أن أتخيل كيف يمكن أن أواجه أهلي إذا حدث ذلك، وقبل ذلك وبعده، لم أكن أتصور أنني يمكن أن أخضع لأحد يلجني في العمق.

fb/mashro3pdf

حافظت طوال سنوات الدراسة الجامعية الثلاثة على تقدير واحد. جيد. لم أكن أذاكر كثيراً، ولكن خلفيتي في اللغة الفرنسية، وذكائي كانا كافيين للحصول على هذا التقدير، بحد أدنى من المذاكرة، قبل الامتحانات بأسبوعين. لم أكن أطمح لأكثر من ذلك. لأني لم أكن أعرف ماذا سأصنع بشهادتي بعد التخرج. ولكن يبدو أن الحلم الإسباني، وعودة أبي بعد غيبة طويلة – قد ساعداني – دون أن أدري على بذل مزيد من الجهد في السنة الرابعة، بحيث إنني حصلت في الامتحانات على درجة أعلى من كل زملائي. أهلتني لأن أكلف معيدة.

سعدت بهذا التفوق والتعيين سعادة بالغة، لا لأن هذا موقع اجتماعي متميز فقد كانت المناصب الجامعية قد فقدت بريقها، لدرجة أنني سمعت أن الكثيرين من المتفوقين في كليات الهندسة وغيرها قد رفضوا التعيين في هذه الوظيفة. ولكني سعدت بها لأنها كانت تعني اقتراب تحقق حلمي بالسفر إلى إسبانيا، هذا الحلم الغريب الذي بدأ منذ فترة الثانوية. والأغرب أنه بدأ بالإعجاب بزي رجل البوليس الإسباني الذي رأيته مرة في السينما أو في التليفزيون لا أذكر. بعد تزايد الحلم بالقراءة ودراسة الحضارة الإسبانية، هذه الحضارة المركبة والمعقدة، والتي أتصور أنها قائمة – لابد – على مزيج من الحب والكره مع العرب، القدماء والمحدثين، لكنهم، على كل حال، يقولون أنهم الآن بدأوا في تعديل نظرتهم إلى العرب، وبالتالي كيفية التعامل معهم.



fb/mashro3pdf

لم أنجح في الحصول على منحة إسبانية ولا بعثة مصرية، دون أن انتهي من رسالة الماجستير، ومن هنا كان لقائي الأول بالدكتور هاني كان قد عاد من إسبانيا بعد أن أنهى رسالته للدكتوراه وكان يستطيع المشاركة في الإشراف مع إحدى الأستاذات بالقسم بحكم قربه من تخصص رسالتي في الحضارة. لم يكن وسيمًا مثل خالد وكان أكبر منه قليلًا ومع ذلك لست أدري لماذا ذكرني به والغريب أنه في أول لقاء حميم سألني أن كان لي خال يشبهه، وبصراحة لم أنكر، بالغت في أوجه الشبه دون أن أدري لماذا... فيما بعد أدركت أن هذه المبالغة كانت في محلها، فقد كان جادًا وحنونًا ورقيقًا مثل خالد تمامًا، بل أن أنفه الحاد وعينيه اللامعتين بالذكاء وشفتيه الرقيقتين، كلها كانت تذكرني بخالد، وإن كان هاني قمحي اللون، بينما كان خالد أقرب إلى البياض.

كان يبدو لم يراه من الخارج مزهوا بنفسه وبعلمه، أنيقًا في ملبسه بسيط لا يتكلم كثيرًا وراء ملامح وجهه ما يوحي بأنه بذل جهدًا كبيرًا في الحياه كي يحقق ما وصل إليه.

فيما بعد عرفت أنه من أصول قاهرية بسيطة وأن أباه كان موظفًا في وزارة الزراعة وأنه الآن على المعاش، وأن أمه كانت ست بيت لا تجيد القراءة ولا الكتابة، وأنه اعتمد على نفسه كثيرًا أثناء الدراسة، وأنه جعل وظيفة معيد هدفه الأسمى لكي يخرج من وضعه الاجتماعي، وقد نجح بالفعل، ولذلك فإن تعاليه الظاهري على البنات الدلاليع كان مفهومًا بالنسبة لي. لكن في العمق كان لطيفًا وحنونًا. هكذا كان معي فيما بعد.

في هذه الأثناء كان أبي قد أجبرني على الزواج من محمود، مهندس في شركة بترول ومن أسرة متوسطة الحال، ولكن مستقبله – كما قالوا – سيكون رائعًا في الحقيقة لم يكن رفضي رفضًا لشخصه، فلم يكن لدي أي شيء ضده أو معه. فقط كان يقاربني في



fb/mashro3pdf

السن، وأنا لا أحب ذكور هذا الجيل يبدون خاوين وعقولهم صغيرة، ويحتاجون إلى أمهات أكثر مما يحتاجون إلى زوجات، بالإضافة إلى أنهم لا يعرفون معنى الحب، لا بالمفهوم الرومانسي ولا بالمعني الجنسي إنهم يلهون فقط. نزوات طارئة قلقة غير مستقرة. بالإضافة إلى ذلك لم أكن متعجلة في الزواج كنت مشغولة أكثر بمستقبلي وحلمي بإسبانيا، كما أن مشاكلي العاطفية كانت محلولة بالطريقة إياها.

غير أن أبي كان قلقًا من سلوكنا في المنزل كنا قد اكتسبنا حرية لم يكن يتخيلها. نخرج وندخل وقتما نشاء، يأكل كل منا بمفرده في أي وقت. ليس هناك نظام للبيت، كان توتر أمي الدائم دافعًا للبقاء خارج البيت أطول مدة ممكنة، كان قلق أبي على صفاء أكثر من قلقه عليّ، لأن سلوكها فعلًا كان غريبًا ولم أكن قد انتبهت إلى هذا إلا حينما عادات شجارات أبي معها — رغم انكساره — وعجزه اللذين صارا ظاهرين الآن. أما أخي رضا الذي كان أكثرنا تحررًا واستفادة من غياب أبيه ومن ماله، فلم يهتم به أبي كثيرا لأنه — على كل حال — ولد.

حاول أبي منذ أن عاد ووجدنا على هذا الحال أن يعبر عن قلقه، وأن يعيد توجيهنا إلى السلوك السوي الذي يرضي الله، لم يكن يعجبه انفلات رضا، ولا كثرة خروج صفاء وملابسها المتحررة، ولكن محاولاته باءت بالفشل، فقد كان من المستحيل أن يصلح في شهر ما أفسده عبر سنوات طويلة، كان يعرف ذلك، كما ألمح في خطابه السابق لي، وكان واضحًا من ملامح وجهه التي تزداد تغضنًا أن يوقن بفشله مسبقًا، وخاصة أن الفشل قد تحقق بالفعل في محاولاته لإصلاح علاقته بأمي، التي بدت وكأنها قد تحسنت في الأسابيع الأولى، ولكنها سرعان ما عادت إلى وضعها القديم.

fb/mashro3pdf

في كثير من الحالات، كان غيظ أبي يخرج عن نطاق قلقه علينا، إلى الأوضاع العامة في البلد، التي عاد فوجدها خربة فاسدة مهترئة، فرغم أن الوضع السياسي الذي سمح له بالعودة كان أفضل من تلك الفترات التي اضطر فيها للهروب، فإن التحلل الأخلاقي والفساد الإداري والتدهور الاقتصادي كان يجعل هذا التحسن لا قيمة له، بل أنه – كما يقول في نهاية حديثه – يمكن أن يقضي عليه، ويحوله إلى الأسوأ.

ورغم أن أبي قد سعد حينما رآني محجبة ومحتشمة، ومع سعادته بتفوقي وبتعييني معيدة، وبحلمي الإسباني – العربي القديم إلا أن هذا لم يمنعه من القلق عليّ أيضًا، وبدا لي أن قلقه عليّ ليس إلا جزءًا من قلقه على صفاء. فأنا الأكبر وإذا نجح في تزوجي، فسيكون أسهل عليه، بعد ذلك، أن يتخلص منها وهكذا وجد لي عريسًا مناسبًا. وبعدها بشهور وجد لها عريسًا آخر واشترى لنا شقتين وجهزهما لنا على أفضل ما يكون.

كانت شقتي جميلة، بجوار سور نادي الترسانة. شقة من ثلاث غرف وصالة بالدور الثالث، تطل على النادي مباشرة، مما كان يعطر للنظر راحة وهدوءًا، جوها لطيف صيفًا وشتاءً. اشتركت مع أبي في اختيارها. أما شقة صفاء فقد كانت في وسط المدينة، ورغم أنها كانت تبدو أكثر فخامة – بناء على اختيارها – فقد راق لي أن أعيش في حي هادئ بعيدًا عن صخب المدينة وضوضائها.

بعد ذلك بسنتين اشترى أبي شقة ثالثة لرضا الذي ظل يرسب طول الوقت في كلية التجارية. ورغم أنه كان يستطيع أن يعيش في شقة أبي وأمي بعد رحيلهما، بعد عمر طويل، إلا أن أبي أراح ضميره واشترى له شقة بثمن شقتينا أنا وصفاء معا.

fb/mashro3pdf

قبل أن أتزوج محمود، وفي فترة الخطوبة التي استمرت حوالي أربعة أشهر، اكتشفت مشكلة كانت سببًا هامًا في انفصالنا بعد ذلك، فأثناء تجهيزنا للشقة، وكنت حريصة على أن أختار بذوقي كل تفصيلة، بدا واضحا أنه ابن أمه لا يستطيع أن يخالف لها أمرًا. وكان هذا يزعجني جدا فهل سأتزوج طفلًا أم رجلًا، وهل ستتحكم في وفي علاقتي به هذه الأم. قلت لنفسي ونصحني أبي أيضًا عليك بالتحمل فهي – على كل حال – لن تعيش معنا. المهم أصررت على تنفيذ معظم أحلامي في الشقة، ونجحت في تنفيذها لأن المال كان مال أبي في نهاية الأمر.

بعد الفرح التقليدي الذي بدا لي مناسبة اجتماعية للأهل أكثر منه تعبيرًا حقيقيًا عن الفرحة، عدنا أنا ومحمود إلى شقتنا كي نستعد للسفر في اليوم التالي لقضاء أسبوع عسل في الأسكندرية، لم يبد محمود متلهفًا على مضاجعتي، ولم أكن خجلة كالعروس التقليدية، ولكني في نفس الوقت لم أكن متلهفة على الفعل. ربما كنت أود أن أكتشف فيه شخصًا قادرًا على الملاطفة والحنان. قبلات وأحضان. فعل ذلك بقلق واضح وبدون تمهل لما لم يجد مني استجابة قوية – بسبب قلقه – نام.

قضينا أسبوع العسل في هدوء نتفرج على البحر والمدينة ولا تبدو على أي منا رغبة شغوفة في ممارسة الجنس. بصراحة بدأ القلق يدب إلى نفسي. فأخذت أستفز رغباتي ومشاعري كي أحركه ليفعل شيئًا وهذا ما حدث بالفعل في الليلة الأخيرة. أخذت أحفزه بإغراءاتي المتعددة حتى انتصب وولجني، دون أن أستمتع إطلاقًا كان الألم فوق الطاقة، وهو



fb/mashro3pdf

الذي اقتيد إلي هذا الوضع لم يكن قادرا على التراجع ولم يكن – في نفس الوقت – يعرف كيف يعالج الموقف بلطف – سال الدم بغزارة وسالت دموعي كاسحة، ونام هو.

ظللت مريضة بعد عودتنا حوالي الشهر. ومع أني أعتقد أن الجميع قد أدرك ما حدث.

فإن أحدًا لم يتفوه بكلمة، فقط زيارات التهنئة التي بدت زائدة عن المألوف لمدة أسبوع وبعد ذلك تركنا الجميع لممارسة حياتنا، ماعدا أبي وأختي صفاء اللذين ظلت زياراتهما لي – نهارًا – لرعايتي في حالة المرض الذي بدا لهما إجهادًا جسمانيًا وعصبيًا سرعان ما يزول. كانت صفاء هي الوحيدة التي أمكنني أن أصرح لها بإيجاز بالمشكلة، وإن كنت غير متأكدة أنها أدركت مدى خطورتها بالنسبة لي.

أخذت أجازة من عملي وعاد محمود إلى عمله، فكنت أقضي معظم وقتي في السرير. وأجتهد فقط في إعداد الطعام وتنظيف البيت تنظيفًا يسمح باستقبال الضيوف ولم أستطع أبدا أن أنسى عنف تلك الليلة الفظيعة. لمت محمود أساسا، ولكني بدأت أتأمل نفسي أيضًا وأحاول تحليل ما فعلته تلك الليلة. لماذا أغريته إلى هذا الحد؟ ولماذا لم أستمتع إلى هذه الدرجة؟. وأدركت أن السبب لم يكن محمود وحده، وإنما كان هناك خالد وعضوه القوي بين فخذي. كنت أرغب في خالد حينما أغويت محمود، رغم أنه لا علاقة بينهما. محمود أبيض الوجه مكلبظ ضخم الجثة، وخالد نحيف مسمسم، رقيق الملامح. ومع ذلك لم أغفر لمحمود أبدا عنفه معي. وأخذت نفسيًا أستعد لرحلة أخرى، لم أكن آنذاك أعرف اتجاهها، ولا علاقتها بالرحلة التي رغبتها قبل ذلك إلى إسبانيا، فقد كنت في حالة من الوهن الجسمي والنفسي لا يسمح لي بالتفكير العميق.

fb/mashro3pdf

أثناء النهار كنت أحاول إخراج نفسي من السرير للقاء أبي أو أختي وقضاء لوازم البيت الداخلية، فقد تكفل محمود بشراء ما يلزم من الخارج، بل إنه كان يحب ذلك أما الليل فكنت أقضيه كاملًا في السرير أقرأ بعض الوقت روايات خفيفة، ثم أنام غير عابئة بوجود محمود أو عدم وجوده، فهو نفسه لم يكن راغبا في مقاربتي. وحين يأتي للنوم يأتي بخفة وهدوء لدرجة أني لم أكن أشعر به إلا في الصباح.

كان أحيانًا يأتي لي بالطعام وأنا في السرير ليلًا ويحاول أن يتقرب إليّ، وكنت أبادله كلمات قليلة وحينما لا يراها كافية للتجاوب، كان ينتظر حتى أنتهي من الطعام ويحمل الصينية ويخرج لا أدري إلى أين.

وفي ليلة من الليالي، بعد منتصف الليل – فيما أظن – استيقظت على أصوات غريبة، همسات، حشرجات، ضحكات خافتة لأشخاص متعددين. ولأني كنت مازلت مرهقة تخيلت أنني أحلم، وغلبني النوم، ولكن هذه الأصوات تكررت في ليالٍ تالية متعددة، وكنت قد تعافيت قليلًا، بحيث أستطيع تمييز هذه الأصوات: أصوات رجال يدخنون ويهزرون، واستطعت أن أميز بينها صوت حامد البواب الذي كان يبعث محمود معه المشتريات أحيانًا. ويبدو أن هذه الأصوات قد اطمأنت إلى غيابي بعد عدة مرات فزاد ضجيجها، وكان إعيائي قد خف كثيرا فبدأت متابعتها بانتباه، ورويدا رويدًا أخذت أقترب من باب الحجرة لأستمع إليها، وأنظر من ثقب المفتاح لأشاهد ما يحدث.

أربعة رجال وشيشة وموقد صغير. يجلسون على الأرض يستندون بظهورهم إلى كراسي الصالون وكنبته، يمدون سيقانهم في استرخاء ويستندون بكيعانهم على المخدات الصغيرة، يتناوبون فيما بينهم خرطوم الشيشة في سعادة واضحة ويلقون بنكات بذيئة وقفشات. عرفت من بينهم حامد كما خمنت من صوته في الليالي السابقة، وكان هناك

fb/mashro3pdf

آخران، أحدهما خمنت أنه سلامة الميكانيكي الذي يصلح سيارة محمود، لم يذكر الاسم في الجلسة كانوا يسمون بعضهم البعض بأسماء الدلع سوسو وحوحو.....

لاحظت أن صوت محمود كان يرق مع الوقت على نحو أكن قد سمعته منه قبل. ولاحظت أنه يميل – في جلسته – بجذعه، لتكون مؤخرته في مواجهة البواب الذي كان قريبًا منها بوضوح، بهت وقبل أن أسقط – وراء الباب – لاحظت أن الاثنين الآخرين كانا في الوضع ذاته.

fb/mashro3pdf

انتهت علاقتي بمحمود، ولكن بذور الحمل كانت قد بذرت مع اللقاء الوحيد الذي تم بيننا. كم ندمت على دوري في هذا اللقاء لكن كان الأوان قد فات، ولم يعد يجدي الندم. المهم الآن أنني مع زوج تابع لأمه ومخنث، صارحت محمود بالمشكلتين واقترحت عليه حلولًا، عاونني فيها دكتور هاني الذي قدر أن محمود لديه مشكلة نفسية وأنني لابد أن أساعده في حلها سواء بالتفاهم معه أو بمساعدة طبيب نفسي. لم يقبل محمود صراحتي، ويومها ضربني ثم هدأ وحدثني عن مشكلاته مع أبيه وأمه، ولكنه لم يقبل فكرة العلاج النفسي، لم ير نفسه مريضًا يحتاج العلاج قال أن كثيرا من زملائه وأصدقائه لديهم نفس المشكلات، وأنها أصبحت مشكلات عادية ومنتشرة ولسنا في حاجة إلى إصلاحها، بل علينا التأقلم معها.

كانت علاقتي بهاني قد بدأت بالتدرج بعد فترة المرض التي أعقبت الزواج. حين تعافيت منه ذهبت إلى الجامعة وحاولت أن أعيش حياتي الطبيعية وكان أول شيء طبعي أن أعد خطة للتقدم بها لتسجيل رسالة الماجستير بعد أن انتهيت من السنة التمهيدية كنت قد اخترت العمل في مجال الحضارة الإسبانية وخاصة في المرحلة الإسبانية.

كانت محاضرات أستاذي خلال السنوات الأربع قد شدتني إلى هذه المرحلة ونبهتني إلى أن علاقة العرب بالإسبان تحتاج إلى مزيد من البحث. ليس فقط لفهم الإنجاز العظيم الذي تحدثت عن وجوده المستمر هناك، وإنما أيضًا لفهم التدهور الذي أصابنا نحن العرب منذ خروجنا من الأندلس وحتى الآن. وهذا التدهور الذي وصل الآن إلى أقصاه



fb/mashro3pdf

وخاصة بعد حرب الخليج الثانية التي شاهدنا فيها تدمير العراق علنا على شاشات التليفزيون... وشهدنا معها أيضًا تدمير علاقة العرب ببضعهم البعض إلى زمن لا يعرف مداه إلا الله. أيامها شهدت بأم عيني ما لم أكن أتخيل حدوثه في حياتي. شهدت البوليس المصري يقتل أحد الطلاب الذين كانوا يتظاهرون محاصرين داخل الجامعة ضد العدوان الأمريكي على العراق، والذي أيدته حكومتنا بل وشاركت بقوات فيه بحجة تحرير الكويت.

مع مرحلة إعداد الخطة بدأ التعامل مع أستاذتي الدكتورة سناء والدكتور هاني. اطمأنت الدكتورة سناء مع اللقاءات الثلاثية الأولى إلى مهارة الدكتور هاني وصلته بالموضوع، فتركتنا نلتقي وحدنا بعد ذلك.

كان بالفعل ذكيا وملمًا بكل ما يتصل بالتاريخ والحضارة الإسبانية، بالإضافة طبعا إلى إجادته التي كانت تبهرني باللغة الإسبانية، وكنت أتحسر على مستواي إذا قارنته بمستواه، أنا التي كنت أظن في نفسي الإجادة التامة — طبعا مقارنة بزميلاتي وزملائي من الطلاب - لكن الدكتور هاني كان يطمئنني حين يقول أن هذا الإتقان ليس ميزة شخصية وإنما هو بسبب الحياة بين الإسبان، وأنني حين أعيش معهم سوف أتقنها أفضل منه، كانت هذه لحظة تواضع نادرة منه فأزالت التعالي الظاهري وقربتني منه.

لم نكن نملك — بالكلية — أماكن تسمح لكل منا بغرفة أو حتى بمكتب كان للقسم كله غرفتان، واحدة للأساتذة والأخرى للسكرتيرة والمعيدين. وكان لقائي بالدكتور هاني يتم في إحدى الغرفتين وكانتا دوما مزدحمتين بالأساتذة والزملاء، بحيث إننا إذا كنا في حاجة إلى مناقشة طويلة، فإن البحث عن مكان آخر كان أمرا حتميًا راودني هذا كثيرا ويبدو أيضًا أنه راوده لكن للأمانة، كانت التلميحات تصدر مني أنا أكثر، حيث أعبر عن استيائي من الزحمة والضوضاء، بأشكال مختلفة. ولا شك أن هذا كان متوافقا مع تزايد

fb/mashro3pdf

إعجابي به، وتزايد إدراكي لأوجه الشبه بينه وبين خالد، بالإضافة إلى تفاقم الأزمة بيني وبين محمود، فمع إصراره على عدم العلاج طلبت الطلاق دون أن أخشى على طفلي القادم. فرفض، فلجأت إلى أهلي وأهله الذين رفضوا جميعا الفضيحة التي أردت أن أسببها لهم من كل ناحية.

حين أدرك هاني بعض ملامح المشكلة أخذ اهتمامه بي يزداد وسلك سبلًا متعددة لمساعدتي نفسيًا وليس فقط علميًا. أعلن أن معي حق وأنه يسندني بكل ما يملك وطمأنني. وكان ينصحني في كيفية تدبير أمور حياتي، والاهتمام بمعرفة إمكانياتي الحقيقية وعدم التفريط فيها لأي سبب من الأسباب كنت أتصل به كثيرا وكان يطلبني أحيانًا في مواعيد مختلفة حيث لم يكن وجود محمود أو عدم وجوده يفرق معي بعد أن وصلنا إلى ما وصلنا إليه. وكانت التليفونات فرصة أفضل بالنسبة لي كي أحمل كلماتي معاني مزدوجة سرعان ما كان يلتقطها وينميها، لتشير إلى اتجاه أوضح نحو ضرورة علاقة عميقة لا تصلح لها غرفتا القسم، وهكذا وجدتني أخرج معه إلى بعض الأماكن العامة في البداية، ثم أذهب إليه في شقته بعد ذلك...

خارج القسم اكتشفت في هاني أشياء كثيرة زادت من إعجابي به وأحنقتني منه أيضًا عرفت أنه كان — وهو طالب — يميل إلى الجماعات الاشتراكية والناصرية، وأنه شارك معهم في بعض المظاهرات ومجلات الحائط. لكنه لم ينتم أبدًا إلى أي منهم كان همه الأساسي منصبًا على النجاح والتفوق.

قال أنه بعد أن تخرج وسافر إلى إسبانيا أدرك أن ما ورثه من أفكار عن السياسة وحلم التغيير لا قيمة لها بهذه الطريقة، وأن مجتمعنا — وليس فقط السلطة الحاكمة — متخلف ولا أمل فيه. عرفت أنه قد تزوج أثناء بعثته في إسبانيا، وأنهما متحابان، لكنها لا

fb/mashro3pdf

تستطيع أن تترك عملها في إسبانيا، فتأتي إليه أو يذهب إليها في الإجازات، وحين رأيت صورتها وجدتها جميلة جدًا، وفي نفس الوقت كانت شكواه دائمة من الوضع في الجامعة وفي مصر كلها. تبدأ الشكوى بالقذارة والضوضاء التي كان يسميها بالتلوث البصري والسمعي وتنتهي إلى غياب العلم وتفشي الجهل والأمراض والفقر وسوء التنظيم... إلخ. ورغم موافقتي التامة على كل ما كان يقول، بل وحتى إعجابي بالصيغ الفكرية التي يعبر بها عن هذا الازدراء، إلا أنني كنت نافرة مما بدا لي انبهارًا بإسبانيا وتبريرا للخروج من مصر إليها كلما أتيحت له الفرص (كي يلتقي بحبيبته) وربما إذا جائته فرصة للهجرة، لا أظن أنه كان سيتردد في قبولها، وبدا لي أنه عاد إلى مصر فقط حتى لا يضطر إلى دفع مصاريف البعثه.

ذات مرة وكانت علاقتنا قد توطدت، جرؤت على التعبير عن هذه الخواطر بصيغة مهذبة قلت، تبدو إسبانيا جميلة جدا في عينيك.

ولكنه تجاهل التلميح الذي كان وراء كلمات وصمت فترة طويلة، ثم قال أولًا لا تنسي أنني مصري، وأحب بلدي، وأعرف مصلحتها جيدا وكذلك أعرف التحيزات الإسبانية المنطلقة من مصالحهم، ومن وعيهم بهذه المصالح، ومع ذلك لابد من الاعتراف بأن هناك الكثير من الصفات الجميلة التي تتمتع بها إسبانيا كطبيعة وحضارة وبشر.

حكى أن الأوروبيين يعتبرون أن إفريقيا تنتهي بإسبانيا ورغم أن هذا يغيظ الإسبان ويجعلهم يبذلون أقصى جهدهم لكي يكونوا أوروبيين حقا حتى في نمط عنصريتهم ضد العرب فإنهم فعلًا يتميزون عن بقية الأوروبيين بأن لديهم إنسانية عالية وتعاطفًا وفهمًا وتسامحا معنا، ربما جاءت من صلتهم القديمة بالعرب والمزيج الحضاري الذي يعيشونه في حياتهم.



fb/mashro3pdf

كان هذا رأيي أنا وهو المتصل بموضوع رسالتي، ولذلك سعدت حينما وصل إلى هذا التفسير، ولكنه فجأه تدارك:

لا. هذا غير صحيح لقد تذكرت الآن لحظتين قاسيتين مرتا عليّ حين زرت الجنوب (أي الأندلس) لأول مرة. اللحظة الأولى كانت في مسجد قرطبة الكبير وأمام اللوحة التي يركع فيها ابن عبد الله آخر ملوك الأندلس مقبلا أقدام القادة الإسبان أحسست بالذل والإهانة إلى حد البكاء، اللحظة الثانية حينما زرت قصر الحمراء وحدائقه. درجة الانبهار بهذا الإتقان والتنظيم والفخامة جعلتني أشعر بالزهو لكوني عربيًا، لكن في اللحظة التالية مباشرة قلت لنفسي لو أن العرب بقوا في الأندلس حتى الآن لما استطاعوا الحفاظ على هذا الجمال بما آل إليه حالهم.

أردت أن أقول له ما كان أبي قد قاله لي عندما علم باختياري لموضوع الرسالة "أن تدهور العرب الحالي ليس إلا نتيجة لهزيمتهم في الأندلس واستقواء أوروبا منذ ذلك الوقت عليهم وعلى غيرهم ". ولكني خشيت أن يعتبر ذلك نتيجة مسبقة لرسالتي وأنا في البداية بالإضافة طبعا إلى أن إعجابي به كان قد بلغ حدا يمنعني من كثرة الاعتراض عليه، خشية فقده علميًا وإنسانيًا.

حين أخذت الأيدي تتلامس، ثم تتشابك بقوة، لم يكن هاني قد عبر لي أبدا – بصراحة – عن إعجابه بي. لكن – فيما يبدو – أن الرغبة التي ولدتها كهرباء التلامس، دفعته ليبثني كلمات الغزل ثم التعبير عن مشاعر مكبوتة في كلمات عن القرب من القلب والسريان في الروح. فيما بعد صرح لي أنه كان من البداية معجبًا بي لكن حبه لزوجته التي لا يستطيع التخلي عنها وكوني متزوجة، والأهم كوني تلميذة له، كانت عوامل تمنعه من

fb/mashro3pdf

التعبير عن هذا الإعجاب وإقامة علاقة كان مهتما بأن يوضح لي بقوة أنه لا يقيم علاقات أبدا مع طالباته وأن هذه هي أول مرة يحدث فيها ذلك.

من هذه الجملة اشتممت – رغم تقديري لهذا الموقف المبدئي – المعنى السلبي للجملة، أنه – إذن – يمكن أن يقيم علاقات أخرى مع غير الطالبات أو أنه أقام فعلا، لكن في هذه اللحظة كنت في حالة وهن تحت تأثير أول قبلة طويلة جميلة منذ زمن طويل – منذ قبلة خالد – لم أستطع الكلام أو حتى مواصلة التفكير في هذا الأمر.

fb/mashro3pdf

لاحظ محمود كثرة خروجي، وكثرة التليفونات التي تأتي وإذا رد عليها لا ترد عليه، ولا أدري أن كان رد فعله هو نوع من الغيرة أم أنه أدرك أن هناك شيئا ما يهدده.

في البداية حاول أن يكون عنيفا في غضبه واتهاماته، ولما لا يجد صدى لأنني كنت قد وصلت إلى يقين بأنه لا شيء يربطني به، فلم أكن أهتم بثورته ولم أكن أرد عليه. تجاهل تام تقريبا، خاصة وأنني كنت مقتنعة أنني لا أفعل شيئًا يغضب ربي، أو يسيء إلى العلاقة الشرعية التي تربطني بمحمود الذي كان مستمرًا في قضاء لذته مع الآخرين. قبلات هاني وأحضانه فقط. صحيح أنها كانت تطول فترة من الزمن يكفي ليصل إلى ذروة لذته. ولكن لم يحدث أبدا أن تجاوزنا هذه الحدود.

لذتي كانت تبدو دائمًا ممتدة هادئة وتتحقق بالتدريج. في أحيان قليلة كنت أنغمس في شهوة عارمة تجعلني أذوب بين أحضانه، ويبدو لي أنني مستعدة لأعطيه كل ما يريد. ورغم هذه الحالة التي أكون فيها، ورغم سهولة الوضع بالنسبة لي وله، فلم يكن يقتضي الولوج سوى خلع سروالي، حزام عفتي، الذي كنت أصر على الاحتفاظ به تحت قميص النوم الشفاف الرقيق. رغم ذلك كنت أفيق في اللحظة المناسبة، وأضم ساقي وعضلاتي بقوة قادرة على مقاومة الدنيا كلها، كان هذا مؤلما لي وله ولكن لم يكن باليد حيلة. فإذا كان ما بيني وبين محمود قد انتهى فإن ما بيني وبين ربي لا يمكن أن ينتهي. بل إنني أشعر أنه يزداد متانة وقوة وعمقا في الفترة الأخيرة، أراه يرعاني ويحميني في كل خطواتي، وأراه ملاذي الوحيد، وحبي الحقيقي، كنت أسير في اتجاه روحاني عجيب قادر



fb/mashro3pdf

على الاستعلاء على شكليات الجماعات الإسلامية التي هيمنت أفكارها على عامة الناس في ذلك الوقت وإن لم أكن أعرف بعد إلى أين سيؤدي بي.

لما لم ينجح محمود في مواجهتي بالعنف، لجأ إلى اللين، حاول أن يقترب مني، واعترف بما لم يعترف به في البداية: أنا فعلا على صلة بحامد وغيره، وهذا أمر قديم وقد تصورت أنه سينتهي مع الزواج، ولكن الزواج لم يفلح في علاجه.

كان طبعا يلوح باتهامي ومسئوليتي، ولكنه لم يجرؤ على إعلان ذلك صراحة، كما فعل قبل ذلك.

وبجرأة غريبة حاول محمود أن يستدرجني إلى عالمه. ليس بالطبع عالم الشذوذ وإنما عالم الحشيش والبانجو قال: أن سيجارة واحدة من البانجو أو سيجارتان من الحشيش، تكفي لتجعلك ترتفعي فوق العالم كله وتنسي كل مشاكلك. عالم آخر غريب تشعرين فيه بأنك كائن آخر، وإنك قريبة من نفسك ومن الناس.. وأيضا من الله، ولمزيد من الإقناع قال أن الكثيرين من المتصوفة كانوا يتعاطون الحشيش والأنواع المختلفة من المسكرات حتى يستطيعوا التعالي على دنايا العالم ويتصلوا مباشرة بالله.

كان محمود غريبًا جدًا في تلك الليلة، لدرجة أنني اقترب منه نفسيا، دون اتصال جسدي. ومما زاد اقتناعي بكلامه أنه أخبرني أنه في هذه الحالة لأنه كان قد ضرب أربعة بانجو في تلك الليلة. كان عامل دماغ.

حكى لي أشياء غريبة عن عالم أصدقائه، وخاصة سلامة الميكانيكي، أشياء جعلتني أشعر أنني غريبة عن هذا المجتمع ولا أعرف ما يدور فيه. حكى أن سلامة يكسب كثيرًا، ممكن خمسين جنيه في اليوم ولكن أسرته المكونة من سبعة أفراد يحتاجون إلى ضعف هذا المبلغ كل يوم بمصاريف المدارس والطعام والكسوة والأمراض... إلخ، وأنه لا يعرف ماذا



fb/mashro3pdf

يفعل ليكفيهم وهو الذي ينهد حيلة طوال اليوم وجزءًا من الليل، ولا يجد أمامه إلا الهروب يعطيهم ما يكفي من الطعام ويستأثر بالباقي لنفسه، كي ينسى تعبه وهمومه مع سيجارتي البانجو أو الحشيش. وأنه زهق من مراته ولم يعد يجد فيها ما يغري، في حين أن صديقهم زوزو ولد لطيف وجميل ومغري.

تقززت من كلام محمود وشعر هو بذلك. فعاد ليحدثني عن مزايا المخدرات، ودعاني إلى سهرة عند واحد من أصدقائهم في الليلة التالية. وجدت نفسي ميالة للذهاب على الأقل لمعرفة هذا العالم عن قرب، وإن كنت في قرارة نفسي قد شعرت برغبتي في تجربة هذا الشيء، الذي لم يسبق لي تجربته، والذي يبدو قادرًا على التسامي بي إلى هذه الدرجة فوق همومي وتناقضات حياتي.

وكانت ليلة ليلاء. لا أدري ولا أتخيل حتى الآن ما حدث ومهما أكدت لنفسي أنه حدث فلن أستطيع تصديقه.

كانت سهرة عند صديق لمحمود يعمل موظفًا بأحد البنوك، ويبدو أنه من أسرة شديدة الثراء. فقد كان أثاث منزله فخمًا ولكنه دون ذوق، ذوق الأثرياء الجدد، كانت السهرة بمناسبة عيد ميلاد صاحب البيت، وفوجئت بأنها قد جمعت الشامي على المغربي، رجال وزوجاتهم أو رجال وحدهم ونساء وحدهم. أعمار مختلفة. كان من بينهم عازف عود.

بدأت السهرة هادئة، الذين يعرفون بعضهم يتحادثون بأصوات عالية والذين لم يتعارفوا تم تعريفهم ببعضهم البعض. بعد وقت قليل أخذت السهرة ثمة الألفة بين الجميع ثم أخذت سجائر المخدرات تدور مع بعض المشروبات الكحولية، لم يكن يرغبها الكثيرون من الموجودين، البعض جمع بين الاثنين. ومع الوقت أخذت الألفة تزداد وتزداد النكات والقفشات... في البداية كنت أشعر بغربة شديدة ولكن حرص صاحب البيت وزوجته

fb/mashro3pdf

ومحمود على الاهتمام بي، ثم مع تتابع الأنفاس التي بدت لي حارقة ولاذعة في البداية، ثم سرعان ما اجتذبني إليها التأثير الهادئ اللذيذ. فواصلت مستمتعة ولكن بهدوء ودون المشاركة في الحديث أو النكت.

بعد العشاء وتقطيع التورتة جاء دور عازف العود الذي بدأ يعزف ألحانا معروفة لمغنيين معروفين، أم كلثوم ونجاة وعمرو دياب ومحمد فؤاد، وكنا نغني معه وفجأه أحضرت البيت طبلة وأعطتها لزوجها، الذي أخذ يصاحب عازف العود برشاقة وطواعية، فبدا يعزف لحنا راقصا جعلنا نهب جميعا في نوبة جماعية منه الرقص. توقف عازف العود ليخلي الساحة لضارب الإيقاع ليلعب بنا كما يشاء. وقد كان بارعا بالفعل، يعلو الإيقاع ويتسارع فتتسارع حركات أجسادنا ثم يهدأ لتهدأ قليلًا ثم يعود وهكذا. كنا كأننا في حلقة زار أو حلقة ذكر في مولد.

أثبتت النساء طبعا تفوقهن على الرجال في الرقص، رأيت أن بعضهن يمكن أن يتفوقن على نجوى فؤاد وفيفي عبده. وكنت ألاحظ ذلك وأنا أرقص بينهن ولكن لم أكن ألاحظ نفسي. فقط كنت مندمجة في الحركة الجماعية، لا أسعى لإبراز أي تميز عنهن. وكنت سعيدة مع نفسي، أحلم تقريبا وأشعر أن روحي تنساب مع حركات جسمي الحرة...الحرة من كل قيد، حتى قيد الحجاب الذي كان قد سقط عن شعري الذي لم يكن مربوطًا فسال على كتفي وجبهتي وأخذ يتمايل مع حركات رقصي وجسدي. وجدت نفسي ألتقط الإيشارب وأربط به وسطي، كل ذلك دون أن أتوقف عن الرقص. ويبدو أن أحدا لم يلاحظني فالجميع مندمجون فيما هم فيه. ويبدو أن هذا قد شجعني على فعل أشياء أخرى لم انتبه – أنا نفسي – إلى أني فعلتها. فقد أدركتها حين وجدت نفسي فوق مائدة الطعام - التي كانت قد خلت- أرقص، وحدي، عارية، وهم يراقبونني في حالة ذهول ونشوة.



fb/mashro3pdf

كما توقعت، تزوجت صفاء بعدي بشهور قليلة. كان زواجها مأساة أكبر من مأساتي. ولكن يبدو أنها كانت أقوى مني، أو على الأقل أكثر اتساقًا مع نفسها.

سمحت ظروف نشأة صفاء أن تكون أقل تناقضا وأكثر واقعية وتحررًا. أقصد ظروف البيت. فارق السن بيني وبينها جعلها بعيدة عن الصراع الذي عشته بين أبي وأمي، وفي حين كنت قريبة من أبي، كانت هي قريبة من أمي التي سقتها التحرر والبعد عن قيم أبي ومبادئه.

لم تتحجب صفاء وحين صارت فتاة... كانت قادرة على أن تخرج بحرية مع أصدقاء من الجنسين، وأن تقيم علاقة كاملة مع ذكور.. كانت أمي تعرف ذلك وتجتهد لتحمي صفاء من النتائج. وكنت أعرف ذلك وأرفضه وأغتاظ منه، لأني لا أستطيع أن أفعل مثله. أما رضا فكان لاهيا بخروجاته ولا يهتم بأمورنا إلا حين يحب ممارسة رجولته علينا أحيانًا قليلة.

قبل أن تتخرج صفاء من كلية الألسن، كانت قد أحبت زميلًا لها أو هكذا تصورت، حينما قرر أبي أن يزوجها، ولم يكن حبيبها قد تخرج بعد، ولم يكن يستطيع التقدم لخطبتها، عاشت صفاء عذابا أليما لاضطرارها الانفصال عنه، تحت ضغط الأب وموافقة الأم التي لم تكن تثق في هذا الحب كثيرًا، وكذلك أنا. ويبدو أن وجهة نظرنا كانت صحيحة لأن صفاء - بعد المعاناة - قبلت الزواج من عبد الفتاح قريبنا الذي كان يعمل



fb/mashro3pdf

مع أبي في السعودية، وظل يعمل هناك بعد عودة أبي. ولو كانت صفاء العنيدة قد أحبت حقًا لما كانت قوة في الأرض تستطيع أن تفرض عليها التخلي عن هذا الحب.

تزوجت صفاء وسافرت مع زوجها إلى السعودية. ورغم أننا لم نكن صديقتين حميمتين أنا وصفاء، فقد شعرت بوحدة وافتقاد حقيقيين، وخاصة بعد أن تكشف حب صفاء لي أثناء مرضي بعد الزواج، كانت هي الوحيدة التي تزورني وتحكي معي وتمرضني وتحاول أن تجعلني قوية في مواجهة ما يحدث لي، كل ذلك في نفس الوقت الذي كانت هي تعيش أزماتها الحادة، ولم أكن في ذلك الوقت قادرة على مساعدتها، لكني حاولت التخفيف عنها، بعد أن شفيت، وبعد أن كانت هي قد تجاوزت أزمتها، ساعدتها في مرحلة النقاهة. ويبدو أن هذا قد خلق بيننا منطقة جديدة من الأخوة لم نكن قد عرفناها من قبل.

بعد مشهد الرقص عارية ازداد شعوري بالفقد الحاد لصفاء فليس لي أصدقاء فهي الوحيدة التي كان يمكن أن تساعدني ولكنها غير موجودة.

استيقظت في اليوم التالي وأنا في حالة غريبة. في الأعماق سعيدة جدًا لأني لم أكن أتخيل أن لدي كل هذه الرغبة في الحرية. ولم أكن أتخيل أن الرقص يمكن أن يفجر مخزون الطاقة الهائل الجميل الذي يكمن بداخلي على هذا النحو، ولم أكن أتخيل أيضًا أنني أمتلك إمكانية التعامل مع جسدي وروحي بكل هذا الحب والرعاية. ولم أكن أتخيل أن اكتمالهما في هذه الحرية يمكن أن يعطيني كل هذه السعادة.

في نفس الوقت كنت أشعر بخجل مع نفسي ومن الآخرين لا أدري كيف أواجهه. شعرت بهذا الخجل في الصباح فقط وقد انتهت الليلة السابقة بهدوء فوجئ محمود مثل الآخرين بوضعي فوق المائدة. وكما حكى لي بعد ذلك لم يع - للحظة - كيف



fb/mashro3pdf

يتصرف. لكنه أوعز للعازف بالتوقف عن العزف الذي كان قد أصبح لي وحدي لعدة دقائق، ولكني واصلت الرقص على إيقاعي الداخلي الذي كنت قد توحدت معه. جاء محمود وبهدوء أخذني بين ساعديه وبحنو حتى هدأ إيقاعي وأنزلني من على المائدة وذهبنا إلى الحمام وهناك ألبسني ملابسي (كنت قد احتفظت فقط بحزام العفة)، وبلل وجهي بالماء وسندني حتى وصلنا إلى السيارة ثم إلى السرير. والغريب أنه لم يحاول أن ينام معي، في تلك الليلة التي اعتقد أنني كنت فيها غير قادرة على الرفض، بل ربما كنت أرغب فيه.

على كل حال تحسنت علاقتي بمحمود نسبيًا بعد تلك الليلة لأنني اكتشفت فيه هذا الجانب الحنون الذي كان ازدرائي له منذ الزواج وربما قبله - قد حجبه عني- وقدرت له هذا الموقف الراقي الذي لا أظن أن رجالا كثيرين يمكنهم أن يمارسوه مع زوجاتهم. ومع ذلك فلم يبتعد عن ذهني تماما احتمال التفسير الآخر: قلة النخوة وانعدام الشهامة الناتج عن ...الشذوذ. وأيًا كان التفسير، فقد أعطاني سلوكه نوعًا من الراحة، لأنه – على كل حال – سيتركني أفعل ما أشاء. وعلي أنا أيضًا أن أتركه يفعل ما يشاء.

زال إذن خجلي أمام نفسي وأمام محمود. أما الآخرون فلم أرهم بعد ذلك. وبقي زهوي بجسدي وبطاقتي الداخلية، مما شجعني على الإيغال في علاقتي بهاني.

بدأت أشعر أنني أحبه، وعبر هو أيضًا عن مشاعر تغزوه، ولكنه كان دائمًا كان يعبر عن حبه لزوجته وتمسكه بها. وبالفعل، حين كانت تأتي في زيارة، طبعا لم أكن أراه، وكان يبدو شديد السعادة معها، ولم يكن يتعمد إخفاء هذه السعادة حينما أكلمه في التليفون أو يكلمني نادرًا.

بدأت أشعر بنوع طاغ من الغيرة، جعلتني أحيانًا أطارده في الجامعة، أو حتى في البيت حينما أكون من غياب زوجته. وكان هذا يزعجه، رغم تفهمه له، مما أدى به إلى



fb/mashro3pdf

طردي من أمام باب بيته عدة مرات. وكان هذا جرحا لن أنساه له أبدا. وخاصة أنه جاء في شهور الحمل الأخيرة التي كنت فيها شديدة العصبية والتعب.

حين كانت علاقتنا تستعيد بعضًا من صفائها، كان يقول لي أن ما أشعر به ليس حبًا هو بحث عن أمان مفقود. وكان يقول – ولم أكن أفهم آنذاك – أنني مريضة بعقدة أوديب، وأنني أبحث عن رجل يعوض غياب الأب وهذا مستحيل. والبحث نفسه مرضي. كان يقول أن نسبة صغيرة من البنات الصغيرات في هذه الأيام يعشن في حالة مرضية. وكذلك الأولاد يعيشون عقدة إلكترا. بسبب غياب الأب أو الأم أو كليهما عن الأطفال، بحثًا عن المال في الخارج وللأسف يتركون أولادهم عبئًا على آخرين، لا يستطيعون مهما حاولوا أن يحققوا لهم هذا التعويض.

لم أكن أصدقه، رغم اقتناعي بمنطق كلامه. كنت أتهمه بأنه لا يريدني لأنه يحب زوجته، وأنه يستعملني عند الحاجة. وكان يصمت. وبعد فترة يأخذني في حضنه ويعبر عن فهمه لي ولمشاكلي ومساندته لي حتى أتجاوزها.

مع بداية الخريف سجلت رسالتي رغم كل التوترات التي عشتها خلال هذه الشهور. وبعدها بشهر وضعت علاء. وبدأت حياتي تأخذ منحنى جديدًا.

fb/mashro3pdf

لم أكن أرغب في الحمل أو الإنجاب من محمود، جاء الحمل رغم أنفي – رغم مشاركتي فيه – ووقع عبؤه الأكبر علي أنا وحدي، تعذبت كثيرًا تسعة شهور الحمل ثم الولادة. ومع ذلك فقد مرت علي لحظات كثيرة من السعادة وأنا أتابع حركات الجنين في أحشائي: كائن حي، إنسان يتشكل بداخلي، وأنا أساعده على الحياة، بل أنا الذي أحييه – استغفر الله العظيم – ماذا لو مت هل يحيا. ربنا قادر على كل شيء. وكم من أطفال ماتت أمهاتهم وهم أجنة ومع ذلك هيأ الله لهم أسباب الحياة. المهم كنت سعيدة بأنني كنت أمتلك مخلوقًا هو مولودي الذي سأراه ذات يوم، كائنا حيا يسعى ويتحرك، يضحك ويبكي، يلهو ويرضع، يمسك ثديي ويستدر لبني، آخذه في حضني يعطيني الدفء وأعطيه الحنان. مشاعر غريبة لا تدركها إلا الحامل.

حين جاء علاء كنت في حالة إغماء بعد القيصرية وبمجرد الإفاقة طلبت أن أراه. كان هادئًا ووديعًا، مغلق العينين، لم ينم وجهه عن أي اتجاه في ملامحه، نحو أسرتي أو نحو أسرة محمود. بعد ساعات بدت ملامحه تميل إلى مزيج من الاثنين وإن كان إلى أبي أميل. أزعجني هذا قليلًا، ولكن قلت لنفسي، وقال الزوار، أن ملامح الطفل تظل في حالة تغيير لمدة طويلة.

واحتواني علاء احتواء كاملًا، احتل مشاعري وعقلي وجسمي، وحامت العوالم الأخرى حولي على الهامش كأنها أطياف بعيدة أراها بنصف عين.

fb/mashro3pdf

كذلك الأشخاص حتى هاني عندما جاء لزيارتي في المستشفى في اليوم التالي، لم أره كما كنت أراه قبل ذلك. تذكرت طيفًا حنونا كان يحتويني أحيانًا، ليس أكثر.

ندمت كثيرًا أنني لم أستعد لمجيء علاء بالقدر الكافي. لم أعد له ما يلزمه في الشهور الأولى كما تفعل الأمهات، ولم أقرأ ما يساعدني على كيفية التعامل معه، ولم تهتم أمي بذلك فقد كانت علاقتنا شبه مقطوعة بالإضافة إلى أنها كانت قد بدأت تمرض كثيرا وزاد عليها الروماتيزم القديم فلم تفعل مثل الأمهات، جاءت لزيارتي بعد الولادة مثل الغرباء، وأم محمود هي التي اهتمت بي، عادت معي إلى البيت وبقيت معي يومين وساعدتني في مواجهة الظروف الجديدة.

ولكن ما إن تعافيت واستعدت صحتي حتى وجدت نفسي أتعامل مع علاء تلقائيا بمهارة ودقة بدتا لي كما لو كانت جزءًا غريزيا من الأمومة التي تدفق مثل لبن الثدي تمامًا.

بعد أيام وجدت علاء يفرض وجوده واختياراته في الحياة، يبكي حينما يجوع أو حينما أهمله – ولم يكن ذلك بقصد – أو حين يشعر بالانتفاخ. تعلمت أن أميز بين أنواع بكائه المختلف، وأن أعرف أنماط ابتساماته العشوائية ونظراته الزائغة التي بدأت رويدا رويدا تتركز علي وتتجه أينما اتجهت. الأهم من ذلك، أنه اختار الثدي الأيمن لكي يرضع منه وعاف الأيسر. لم أفهم سبب اختياره إلا فيما بعد. سألت الطبيبيب فسألني عما إذا كان هذا الثدي قد أصيب بمرض ما. تذكرت أن خراجًا صغيرًا كان قد أصابه وأنه قد تم فتح الخراج وبقي أثره في حلمة الثدي.

رغم الأرق و الإرهاق بسبب قلة النوم، كنت سعيدة جدًا، أشعر لأول مرة في حياتي – أنني أملك كنزًا يخصني أنا وحدي ولا يستطيع أحد أن ينازعني فيه. فلا هو محمود



fb/mashro3pdf

الذي استولت عليه أمه ورفاقه، ولا هاني الذي تشاركني فيه زوجته، علاء لي أنا وحدي ولم أكن أدرك آنذاك أن هذا الشعور بالذات، والذي كان مصدر كل اهتمامي وسلوكي مع علاء سيؤدي إلى توتر علاقتي به بعد ذلك. ولطالما حذرني هاني من هذا الاهتمام الذي كان يعتبره اهتماما مبالغا فيه ومرضيا لتعويض إحباطاتي، وكنت أتهكم عليه وأساله هل يمكن لرجل بالغ عاقل أن يغار من طفل لا يزال يرضع!.

في هذه الفترة لم أكن قادرة على العمل في رسالتي ولذلك بدأت أهتم بالبيت، أرتبه وأنظفه، بدأت أهتم بالزرع وبالموسيقى. كنت أحب الموسيقى العربية القديمة وأغاني أم كلثوم وعبد الوهاب وفيروز، ولكني كنت مهووسة بأحمد الحجار وخاصة أغنية "عود" فيها رومانسية غريبة مفتقدة في هذا الزمان كنت أحن إليها دائمًا فالأغاني التي يسمونها أغاني الشباب لا تمس أوتار قلبي، قليلًا منها، أحيانًا محمد فؤاد أو محمد منير. أغنية "من أول لمسة" غريبة.. حساسة، دافئة، ذكية العواطف، حنونة، يملك إمكانيات هائلة ولكنه كثيرا ما يضيعها.

قبل علاء لم أكن أشاهد التليفزيون نهائيا ومعه ربما لأني كنت معظم الوقت بالمنزل كنت أجلس أمام التليفزيون أحيانًا أثناء الرضاعة أو اللعب، اكتشفت كم هو تافه ما يقدمه برامج ساذجة، مسلسلات تافهة، إلا في أحيان قليلة، مثل مسلسلات أسامة أنور عكاشة، أو محمد صفاء عامر، أو يسري الجندي. لم يأسرني التليفزيون، ولكن الراديو كان مفتوحًا معظم الوقت وخاصة عندما أكون في المطبخ لإعداد الطعام أو وجبات علاء الصناعية التي نصحوني بها رغم عدم اقتناعي، كنت أرى أن لبني الطبيعي كاف، إنني أحب أن أعطيه كله له. ونصحتني حماتي بالوجبات الصناعية بحجة أنه ينبغي أن أعوده على الاستقلال عني.

fb/mashro3pdf

من الراديو كنت أستمع إلى البرنامج الموسيقي أو برنامج البيوت وأحيانًا نشرات الأخبار رغم أنني لم أكن أهتم بالسياسة كثيرا لكن مع استمرار سماعي للأخبار بدأت أنتبه إلى أن أحداثًا مهمة تجري في العالم. شدتني المذابح التي تحدث للمسلمين في يوغسلافيا سابقًا وانتبهت إلى مفاوضات السلام التي تجري بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. ورغم أنهم علموني في كتب التاريخ في المدرسة أن إسرائيل قد أصبحت صديقة، فإن كل ممارساتها في فلسطين ولبنان والجولان تقول غير ذلك، وخاصة ما حدث في صبرا وشتيلا سنة ١٩٨٢. لا أعتقد أن إسرائيل تريد سلامًا حقيقيًا.

ورغم الهموم والكوارث المنتشرة في العالم كنت أعيش سعيدة وكأني في جزيرة منعزلة بسبب علاء الذي أخذ جماله يزداد يوما بعد يوم، وبدأ انشغالي به يزداد إلى درجة استولى فيها على كل وقتي، وشغلني عن كل من حولي وما حولي، وكأني قد اكتشفت إنسانًا آخر بداخلي، إنسان يفيض بالحب والحنان والرغبة في العطاء المطلق، لأن علاء كان بمبادراته الصغيرة، حركة اليد، ابتسامة غير مقصودة، رفسة رجل.. كان يبادلني مشاعري وينميها لأكون أكثر إنسانية وصفاءً وحبا للعالم.

fb/mashro3pdf

بعد إجازة الوضع عدت إلى عملي بالجامعة. لم تكن لدي محاضرات كثيرة، يوم واحد في الأسبوع كان علاء يبقى مع محمود أحيانًا أو أذهب به إلى أمي أحيانًا أخرى، وحماتي نادرًا، حين عدت إلى الكلية لم أكن قد رأيت هاني منذ شهور عديدة ومع ذلك فقد كان لقاؤه بي — رغم الحفاوة — غير متلهف. فسرت ذلك أنه ربما كان لأننا في مكان العمل. ولكني اكتشفت بعد ذلك السبب الحقيقي.

حين طلبت منه لقاء بحجة البدء في تنظيم العمل في الرسالة أعطاني موعدا في القسم. وبالفعل كان لقاء مثمرا ساعدني على أن أبدا في جمع مادة بحثي من المصادر والمراجع ونقل المهم منها في "كروت" بحث، علمني كيفية كتابتها وترتيبها. لم أكن وقتها قد قبلت إمكانية التعامل مع الكمبيوتر الذي أعتمد عليه الآن في إعداد الدكتوراه. وقتها كنت أحب أقلامي وورقي المتعدد الأنواع والألوان، كنت أحب خطي. حتى هذا لم أعد أحبه!

لكن الثمرة العلمية لم تكن هي ما أريد من هاني، كنت أريد أن أستعيده بعد أن افتقدته هذه الشهور، لم أكن فقط أريد أن أستعيده هو ذاته ككيان خارجي، بل كنت أريد أن أستعيده داخل نفسي، بعد أن كان قد خرج منها بعد الوضع ومجيء علاء إلى الدنيا. وفي هذه المحاولات، كنت أستعيد هاني على نحو آخر أكثر هدوءًا وحنانًا وكأنني أريد أن أستعيده كأخ أكبر لعلاء، ابن آخر لي . لا أدري لماذا طفت إلى ذهني فجأه —



fb/mashro3pdf

بعد علاء – فكرة أن هاني طفل كبير، وأنه ربما كان في حاجة إلى أم، وأنني لم أستطع فيما مضى أن أحقق له هذا الاحتياج.

اتصلت به عدة مرات وعبرت عن رغبتي في زيارته في المنزل. وبعد تهرب ومماطلة قبل، فذهبت إليه ولكنه كان متحفظا، حتى حين عبرت له عن هذه المشاعر الجديدة التي تنتابني نحوه. ابتسم ابتسامة صغيرة وأخذني في حضنه بهدوء وحياد أشعراني أنه لا أمل. فيما بعد عرفت من جو القسم أن هاني قد دخل في علاقة جديدة. وكدت أجن.

أن تشاركني فيه زوجته أمر يمكن فهمه أو حتى قبوله رغم قسوته التي عانيت منها الكثير. فأنا أيضًا متزوجة، وإن لم أكن أحب زوجي. أما أن تأتي أخرى لتشاركني بل تاخذ مني نصيبي فيه فهذا ما لا يحتمل. ولماذا؟ هل هي أجمل مني أو أذكى أو أحن؟ ماذا يحدث في الدنيا؟ ما لهؤلاء الرجال الأنذال الذين لا يرضيهم أي شيء. هل لأنه لم ينلني أبدا؟ هل المهم بالنسبة لهم هو الإيلاج بالذات؟ لقد أعطيته روحي وكل أجزاء جسدي التي أمتلكها. فرجي لا أمتلكه. الحفاظ عليه هو حق ربي علي ولا أستطيع التفريط فيه. الآن ثديي الأيمن أيضًا ليس ملكي، ملك الطفل الجميل علاء فيما عدا ذلك كل شيء وخاصة روحي كانت وما تزال ملكا له، بل إنني أشعر بمزيد من الاحتياج إليه، إلى أن يتملكني وأتملكه.

سعيت بكل الطرق لمعرفة ذات الحسب والنسب المحبوبة الجديدة وعرفتها بالفعل. كانت فتاة مستهترة من طبقة أعلى، سافرة، شعرها جميل وملامح وجهها طفولية، لكنها "هيبي"، تلبس بنطلونات جينز وبلوزات مكشوفة، ولا تهتم بالهندام والأناقة، ماذا أعجبه



fb/mashro3pdf

فيها وماذا يفعل معها؟ هل يلتقيان في منزله، ويفعلان مثلما كنا نفعل لا شك أنهما يفعلان أكثر... يصلان إلى ما يريده ولا شك أنها أيضًا تريده.. الفاجرة.

لم يعد علاء ولا أي شيء في الدنيا قادرا على أن يهدئ ثورتي وغضبي، وكانت غيرتي تزداد يوما بعد يوم، ثم يغلق في وجهي التليفون، حاولت زيارته فرفض محتجًا بأن الناس في الكلية قد بدأت تعرف العلاقة وأن هذا يهدد مستقبلي ورسالتي لم أقتنع، ذهبت إليه ذات يوم في البيت كان موجودا بالداخل ولم يخرج، خرجت واتصلت به من الشارع وهددته بأنه إذا لم يفتح لي الباب فسوف أحدث له فضيحة أمام الجيران وفعلا فتح الباب وعلى عتبته رفع يده وبقوة صفعني على وجهي صفعة قاسية، إياك تعتبي البيت دا تاني. وبالفعل لم أذهب إلى هذا البيت بعد ذلك أبدا، رغم ندمه واعتذاره ودعواته المتكررة لي للذهاب إليه، شيء ما قتل انتهى. لا أقصد حبي له، الذي لا أعرف إن كان ما يزال حيا أم لا، أم أخذ شكلا آخر. اهتزت صورتي أمام نفسي بشكل فظيع. أهينت كرامتي وصرت ذليلة.

خرجت من العمارة تائهة لا أدري شيئا ولا إلى أين أذهب. يستحيل أن أعود إلى البيت على هذا النحو، لا أدري ماذا أفعل. ظللت أتجول في الشوارع وأنتقل من شارع إلى شارع دون أن أدري أين أنا ولا ماذا أريد. توقف ذهني عن العمل.. وكذلك كل حواسي. ودون أن أدري وجدت نفسي أمام بيت أبي، وهو يفتح الباب وأنا أرتمي في حضنه، وهو المذهول الذي لم يفهم شيئًا حاول تهدئتي. لم يعرف أنني لا أريد أن أتكلم ولا حتى أستطيع، كنت أريد فقط حضنه. بعد قليل هدأت ارتعاشاتي في حضنه واستطعت أن أنطق: لم أعد أستطيع الحياة مع محمود.

fb/mashro3pdf

حاول أن يفهم مني ماذا حدث، ولكني لم أكن أملك ما أجيبه به، فقد اخترعت هذه الكذبة لتبرير حالتي، والآن وقد هدأت استطعت أن أقول له، أنني فقط كنت أحتاج إلى دعمه المعنوي، أما الباقي، فأنا أستطيع مواجهته. كان أبي يعرف تفاصيل مشكلتي مع محمود ولكنه كان مصرًا على رفض الطلاق، ويرى إمكانية علاج كل شيء. لذلك لم أكن مضطرة لأواصل الكذبة.

من بعيد كانت أمي تبدو جالسة في غرفتها كشبح تشاهد التليفزيون، لم تستطع أن تتحرك ناحيتنا، كأني لست ابنتها التي تبكي. ومع ذلك فقد لمحت قلقا وتوترا في عضلات وجهها حينما كانت تلتفت إلينا. فيما بعد أدركت أنها ربما كانت قد وصلت إلى حد العجز عن الحركة فيما أنا مشغولة في سعادتي مع علاء أو في مأساتي مع هاني.

ذهبت إليها وقبلت خديها بآلية المنوَّم، واطمئننت عليها بكلمات تقليدية ثم تركتها، أصر أبي على أن أبقى للغداء، ولكن لم تكن لدي شهية للطعام.. كانت شهوتي قد اكتملت للانتقام.

fb/mashro3pdf

كيف يمكن لفتاة أن تنتقم من شخص تحبه، أو على الأقل كانت، وهو في نفس الوقت يمسك بخناقها لأنه مشرف على رسالتها، في ظل نظام جامعي يعطي كل الحقوق للأساتذة. هل تفضح علاقته بها أم بالأخرى؟ بعض الزملاء والزميلات يعرفون عنه سلوكه السيء، وعلاقاته المتعددة، التي لم تعرفها هي إلا بعد ذلك. ومع ذلك فهل يأتي ذلك بثمرة؟ هل تدعي عليه أنه اعتدى عليها؟ كيف تثبت ذلك؟ ثم ماذا ستجني من وراء ذلك؟ لن تستعيده بالقطع. ولن تستطيع أن تتم رسالتها معه أو مع غيره بعد ذلك. هل تلجأ بشكل ودي إلى أستاذتها لإزالته من الإشراف. هذه فكرة جيدة، ولكن كيف تبرر طلبها للأستاذة؟ ستضطر للاعتراف بكل شيء، ثم من سيحل محله، لا أحد في القسم.

ماذا تفعل إذن لكي تنتقم؟ هل هي فعلا قادرة على الانتقام، هل هي شريرة إلى هذا الحد؟ إنه لم يعدها بشيء على الإطلاق منذ البداية، ماذا تريد منه؟ تريد أمانا لا يعطيها إياه سواه، تريد أن تكون أما له، تعطيه حناناها ودفئها. أذن عليها أن تسعى لاستعادته ولو بقليل من الشر والأنثى لن تعدم الوسيلة.

هل تظن أنه يمكن أن يغار عليها؟ حتى الآن لم يكن هناك مبرر لغيرته (سوى علاء!) فليس لها زوج ولا عشيق، كان وحده مركز الكون بالنسبة لها، وهذا هو سبب مأساتها. أنه يعرف أنها لا تستطيع الاستغناء عنه، وهي، حين فقدته، فقدت الدنيا كلها، وأصبحت على وشك الجنون أو الانتحار.

fb/mashro3pdf

تذكرت آنذاك مقالا كانت قد قرأته في صحيفة ما يقول كاتبه أن المنتحرين هم بشر كثفوا حياتهم نحو شيء أو شخص فإذا فقد هذا الشيء أو الشخص لم يعد لوجودهم مبرر، ولا يصبح أمامهم سوى إعدام هذا الوجود.

هل يستحق شخص ما، أيا كانت أهميته، أن يدفعني للتخلي عن حياتي. أليست الحياة قادرة على تعويضي عنه بآخر أو آخرين. ألا أمتلك أنا من القدرات ما يجعلني أخلق لحياتي معنى آخر، بل وأخلق لنفسي حياة أخرى، اعتمادا على ما لدي من قدرات وطاقات، وبالبشر الذي يحبونني. ألا أمتلك جسمًا جميلًا وروحًا شفافة نقية.. ألا أمتلك علاء؟ وصفاء ورضا وأمي وأبي الذين مهما كانوا بعيدين عني، فهم موجودون وقادرون على مساعدتي في كثير من الأحيان والأصدقاء... آه الأصدقاء الذي ابتعدت عنهم تماما وأهملتهم خلال الفترة الماضية، كم كان بعضهم يحبني وأنا التي أهملتهم. على أن أستعيد علاقتي بهم، بل حتى على أن أسعى لتكوين صداقات جديدة.

بمن أبدأ... آه... حمدي زميل الدراسة الذي كان أكثر من صديق. لا شك لدي أنه كان يحبني. كانت عيناه تقولان ذلك. بل إن كلامه كان يحاول أن يصل إلى هذا التعبير، لولا صدي الدائم له... كنت أراه طفلًا، مثل كل الشباب في سنه. أليس هذا جائزًا، ظروفهم صعبة دون شك. لم يتعلموا كيف يعرفون أنفسهم - ألست كذلك أنا أيضًا؟ لا نعرف من نحن ولا كيف نكون رأيا ولا أن نتخذ قرارًا. هكذا تربينا في البيت أو في المدرسة إلا من كانت له ظروف استثنائية، الآن أستطيع تذكر ملامح في حمدي تجعله من هؤلاء. لديه أشياء تميزه. أفكاره، قصصه، هادئ دائمًا، صغير الحجم، لكنه وسيم وطيب، أحتاج إلى شخص طيب.

fb/mashro3pdf

لكن أين هو الآن؟ لم أره منذ تخرجنا إلا مرات قليلة. كان بائسًا، يبحث عن عمل ولا يجد. ليس لديه تليفون، فهو من أسرة فقيرة كان ممن دخلوا القسم رغم أنه خريج مدارس حكومية. كانوا قلة آنذاك وكنا نتندر على مستواهم في اللغة. لكن حمدي نجح خلال شهور قليلة أن يخرج من إطار تندرنا بالمجهود الذي كان يبذله وبذكائه الواضح. ومع ذلك فإنه لم يتفوق في الدراسة فتخرج بجيد، ولم يكن من السهل أن يجد عملًا في ظل أزمة البطالة التي كانت قد طالت ملايين الشباب والفتيات.

أين أجده؟ آه تذكرت. آخر مرة كان قد قال لي أنه قد تقدم لوظيفة أعلن عنها المركز الثقافي الإسباني "سيربانتس"، أي وظيفة لا أذكر، موظف علاقات عامة أو منظم ندوات وأنشطة ثقافية، شيء من هذا القبيل. يمكن الاتصال بالمركز فربما يكون قد قبل بالوظيفة.

لكن هل يصلح حمدي لإغاظة هاني! آه، سؤال قذر، عدت إلى الأفكار المجنونة. ألم تقولي أنك لابد أن تخرجي من إطار مركزية هاني في حياتك، حمدي يستحق أن يكون صديقًا بغض النظر عن هاني. حاولي أن تنسيه، اتصلي بحمدي وعودي إلى الاهتمام بعلاء الذي بدأ التوتر والقلق يسيطران عليه بسبب إهمالك له: الوجبات لم تعد منتظمة، توترك ينعكس عليه بشكل مباشر وغير مباشر. أصبح عصبيًا كثير البكاء، وشديد التعلق بك، لا يريد أن تضعيه على الأرض أو في السرير دقيقة واحدة. يعبر بكل أجزاء جسمه عن خوفه من فقدك. آه أيتها المجنونة كيف جرؤت على إهماله إلى هذا الحد.....

اتصلت بالمركز الثقافي الإسباني وسألت دون تردد إن كان حمدي عبد الرحمن موجودًا؟ من حسن حظي — النادر — أنه كان موجودًا، أوصلوني به. كان مندهشًا من اتصالي، ولم يفهم دوافعي:

fb/mashro3pdf

- ازيك يا حمدي؟

- الحمد لله، وانت ازيك...إيه المفاجأه الجميلة دي !

- كنت بسأل عن ندوات المركز، قالولي إن اللي مسئوول عنها هو حمدي عبد الرحمن، كانت مفاجأه هايلة بالنسبة لي، مبروك، خدت الوظيفة.

- آه الحمد لله. أخيرًا

- مبسوط فيها؟

- مش وحشة. أحسن من مفيش. يمكن بعد شوية تكون أحسن.

- يعني إيه؟

- دلوقتي موظف علاقات عامة. بس بيوعدوني إنهم يخلوني أشارك تنظيم النشاط الثقافي بتاعتهم بعد شوية.

- نشاط إيه اللي بيعملوه غير الندوات؟

- عروض سينما ومعارض فنون تشكيلية. وأحيانًا حفلات موسيقية وعروض فنية... حاجات كده يعني.

- هايل.. وفيه إيه الأيام دي؟

- فيه ندوه بكرة عن المؤرخين الجدد في إسبانيا وموقفهم من المرحلة الأندلسية.

- مش معقول. دي في صلب موضوعي، مين هيتكلم فيها؟

- فيه أستاذ إسباني والمشرف المشارك بتاعك د. هاني. إزاي ما قل كيش!

اضطربت قليلًا من المغزى الكامن وراء سؤاله ونبرة صوته التي حملت بعض التهكم.

- ما شوفتوش من مدة، الحقيقة أصلي مشغولة بالبيبي، مش تقولي مبروك؟



fb/mashro3pdf

- *الله هو إنت خلفت؟ مبروك. جبت إيه؟*
- *ولد جميل زي القمر. اسمه علاء، شقي قوي مش مخليني أعمل حاجه في الدنيا غير إني أكون معاه.*
- *هايل لازم شبهك!*
- *شوية. بس لسه ملامحه ما تكونتش قوي.*
- *ألف مبروك. ربنا يخليهولك.*
- *مرسي يا حمدي. بأقول لك إيه. أنا هاجي بكرة أحضر الندوة. احجز لي بقى مكان جنبك زي ما كنت بتعمل زمان في المحاضرات. فاكر؟*
- *آه والله كان زمن جميل O.K.*

أنهيت المكالمة وبعض السعادة تتسلل إلى نفسي. ليس فقط لأني وجدت حمدي وسألتقي به غدا، بل وفي مواجهة الأستاذ هاني مباشرة. سأضرب عصفورين بحجر واحد... برافو عليك يا بت يا هناء.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

في اليوم التالي كنت في قمة التأنق والجمال، لبست تيرًا جديدًا لم يره هاني علي من قبل، وبلوزة مشجرة جميلة كانت عندي من أيام الكلية، كان حمدي بيتغزل فيها لما كنت بالبسها، كانوا لايقين على بعض جدا وحطيت شوية مكياج خفيف يليق مع لون التاير والبلوزة، ورحت قبل ميعاد الندورة بربع ساعة.

لم يكن حمدي موجودًا بصالة الندوات. ولكن وجدت أماكن كثيرة خالية فاخترت واحدا في المنتصف على الطرف المواجه للافتة الصغيرة الموضوعة على المنصة والمكتوب عليها اسم الدكتور هاني حماد. بعد قليل جاء حمدي وما أن رأني حتى اتجه نحوي باهتمام واضح:

– *آسف، انشغلت بترتيبات الندوة، لكن على كل حال فيه أماكن كثيرة لكن لو حابة تقعد جنب بعض تعالي ورا علشان يمكن أتحرك كتير. ما تنسيش إن أنا موظف علاقات عامة.*

استجبت له ورجعت إلى الكراسي الخلفية مع المحافظة على نفس موقع الرؤية للافتة. وجلسنا نتحدث قليلًا قبل أن تبدأ الندوة التي تأخرت كالعادة حوالي ثلث الساعة. تذكرنا أيام زمان حلوها ومرها. فقد كانت المرارة سمة دائمة في شخصية حمدي، لكني كنت حريصة على أن أجعل الحديث مبهجًا وحميمًا قدر الإمكان فذكرته بنظراته لي

fb/mashro3pdf

وقصصه الرومانسية التي كان يقرؤها علينا في الرحلات وكنت أشعر أنها تقرأ لي أنا بالذات. تعجب من كلامي :

- *غريبة. عمري ما افتكرت إنك واخدة بالك من الموضوع ده. عمره ما بان عليك*
- *يا بني إنت ما تعرف الحاسة السادسة عند البنات وبالذات لما يكون حد مهتم بيهم.*
- *أمال كنت مطمنشة ليه؟*
- *كنت مشغولة بالمذاكرة. وبصراحة ما كنتش حاسة إن زمايلنا ينفعوا للحب أو للجواز، كنت حاسه إنهم أطفال.*
- *عندك حق، معظمهم كده. بس البنات كمان كده...*
- *برضه معظمهم، مش كلهم، أنا مثلا طفلة؟*
- *طفلة بس كبيرة .*

دخل الأساتذة، وكانت القاعة قد امتلأت صفوفها الأولى وبقيت الكراسي في الصفوف الخلفية، نصف مشغولة. وبدأت الندورة بتقديم من مدير المركز عن أهمية الموضوع، وأهمية المتحدثين، ثم أعطى الكلمة للأستاذ الإسباني، الذي تحدث إسبانية بليغة ودقيقة موضحًا ملامح هذا الاتجاه الجديد في التأريخ الإسباني المعاصر.

منذ بداية الندوة، كنت موزعة بين ثلاثة اهتمامات: كلام المتحدث، والنظر إلى هاني ومراقبة ملامح وجهه، والحديث مع حمدي الذي حرصت على أن يبدو أليفا وحميمًا، فكنت أميل إليه وأنا أتحدث كما لو كنت أهمس له بكلام غرامي.

كان نظر هاني — حين جلس في مقعده - قد تجول ببطء في وجوه الحاضرين كأنه يبحث عن شخص بعينه، لا شك أنه يبحث عنها. ولكن حين وقع نظره عليّ توقف



fb/mashro3pdf

قليلًا، ولمحت شبه ارتعاشة تحت شفته السفلي، ولكنه قطب جبينه وانصرف عني، وإن كنت ألاحظ أنه لم ينصرف تماما. فقد كان يعود إلى النظر إلينا، وخاصة حين كنا نتهامس! وكانت نظراته أقرب إلى نظرات اللوم الذي فسره - بعد ذلك - بأننا كنا - بحديثنا - نخرق النظام ونشوش على المنصة. لكن مدير الندوة لم يلتفت إلينا مرة واحدة، فقد كان منغمسا في متابعة أفكار الأستاذ الإسباني. ثم بعد ذلك كلام الدكتور هاني الذي تحدث عن هذا الاتجاه التأريخي الجديد، من وجهة نظر العرب المعاصرين أي ترحيبهم به مع الدعوة لمزيد من الدراسات من هذا المنظور لأنها يمكن أن تكشف عن عناصر جديدة، في كل من الحضارتين الإسبانية، العربية، وأشار إلى أن بعض طلابه يدرسون في هذا الاتجاه ولكنه لم يذكر اسمي فاغتظت.

كان حديثي مع حمدي أثناء الندوة قد تطور، من تعليقات سريعة على كلام المتحدثين، مع استمرار للحوار الذي كان قد بدأ قبل الندوة، إلى التصريح بأن لدينا الكثير من الكلام الذي يمكن أن نقوله لبعضنا، وأننا في حاجه إلى مواصلة الكلام بعد الندوة. حين انتهى المتحدثان من كلامهما، لم أكن متحمسة لسماع المناقشات، خاصة وأنه لا يوجد المتخصصون الذين أعرفهم بين الجمهور، فاقترحت على حمدي أن يدعوني على فنجان شاي فواق وخرجنا، وأنا أشعر بنظرات هاني تخترق ظهري من الخلف بغيظ..

أخذني حمدي إلى مقهى البستان بوسط المدينة، قال أنه معتاد على الذهاب إليه، وجدت الكثير من الأدباء والكتاب من أجيال مختلفة بعضهم معروف، وبعضهم من الجيل الجديد، جيل حمدي الذي كان قد أخبرني أنه بدأ بالفعل في نشر بعض قصصه في المجلات، وأنه يعمل على إصدار مجموعة قصصية كاملة، لكنه لم يجد الناشر بعد، وخاصة أن معظم الناشرين أصبحوا يتقاضون من المؤلفين -- عكس المألوف - تكلفة الطبع. ولما سألته لماذا لا ينشر في السلاسل التي تصدرها هيئة الكتاب أو هيئة قصور الثقافة، قال إن



fb/mashro3pdf

المشرفين عليها شلليون، معظمهم لا يوثق في ذوقه الفني، فكل يوم هناك عشرات المطبوعات سواء كانت شعرًا أو قصة أو رواية، ومعظمها يخلو من القيمة الفنية.

جلسنا في الشارع الصغير المواجه للمقهى الذي بدا كأنه جزء منه، لأن الموائد والكراسي اصطفت على جانبيه.

بمجرد جلوسنا سألني حمدي عن موضوع — بصراحة — يؤرقه منذ اتصلت به أمس وهو موضوع علاقتي بالدكتور هاني التي سمع عنها إشاعات كثيرة. قلت له كلامًا عامًا عن أن هاني كان يحاول معي ولكني رفضت منذ البداية ورجوته — كصديق — أن يصدقني. ولكي أبعده تماما عن هذا الموضوع، بدأت أحكي له حكاية زواجي، فهي الأهم، وهي المشكلة الكبيرة التي تهدد حياتي ولا أعرف لها حلا. وقلت له أنك كصديق تستطيع أن تساعدني بمجرد أن تستمع إليّ فأنا في حاجه إلى صديق طيب وحنون يمكن أن يسمعني.

صدق حمدي كلامي وشعر أن هذا تقريب واضح له. فبدت عليه بعض إمارات السعادة. ما يستطيع إظهاره منها. وأنا أيضًا كنت سعيدة بعض الشيء لوجوده معي. ولأنني أغظت هاني بهدوء وبدون ضجة. وواصلت الحديث مع حمدي دون أن أقول له بالطبع مشكلتي الأساسية مع محمود. فقد أجلت الحديث عنها للمستقبل.

fb/mashro3pdf

مع حمدي أخذت أتعرف على عالم جديد تماما بالنسبة لي. كان واضحًا أنه بعد أن تخرج من الجامعة، انخرط في شريحة جديدة من الشباب لهم عالم خاص. يعيشون مع بعضهم البعض معظم الوقت تقريبًا. شباب من الجنسين ومن طبقات مختلفة، ولكنهم يجتمعون حول الأدب يكتبون الشعر أو القصة أو الرواية أو الأغاني، ويقولون لبعضهم كلامًا ويقرأون لبعضهم ما يكتبون. يجلسون على مقاهي وسط المدينة أو يلتقون في منازل من يملك منهم منزلًا ويتقاسمون المال المتاح. يسمون أنفسهم جيل التسعينات، وفهمت من حمدي أن بعض النقاد من الأجيال السابقة يرعاهم، والبعض الآخر يهاجمهم.

في البداية لم أكن أفهم لا كلامهم المليء بالمفردات الجديدة عليّ والتي لم أكن أسمعها من غيرهم مثل هرتلة وروشنة، ولا كتابتهم، فيما بعد ومع تعدد لقاءاتي بهم سواء على المقهى أو في الجلسات الخاصة مع الأصدقاء الحميمين لحمدي بدأت أفهم. لم أكن معجبة بكتابتهم لأنني كنت أحب محمود درويش وأمل دنقل وأحمد فؤاد نجم ونجيب محفوظ، ومع ذلك اقتنعت بأن لهم الحق في أن يجدوا طريقة مختلة في الكتابة، تستطيع أن تعبر عن حياتهم المختلفة والتي يعانون فيها أشياء لم تعشها الأجيال السابقة. ومع ذلك لم أقتنع بأن هذه هي الطريقة الأفضل لحياتهم ولكتابتهم.



fb/mashro3pdf

كانت معاناة حمدي قاسية. تعب كثيرًا حتى أكمل تعليمه. كان يقوم بأعمال مختلفة أثناء الدراسة وبعد الدراسة ترك الجماعة الاشتراكية التي كان ينتمي إليها. عمل بعض الوقت في السياحة، ولكن اضطرابها بسبب ضربات الإرهابيين للسياح جعلته يفقد الشغل مرات عديدة، وواضح أن أهله في الزقازيق لم يكونوا قادرين على مساعدته، بل هو الذي كان عليه أن يساعدهم، وكان – كما حكى لي – يفعل كلما استطاع.

الآن بعد أن استقر عمله في المركز الثقافي الإسباني، تحسنت أحواله المالية، واستطاع أن يحصل على غرفة بشقة مشتركة مع صديق له بشارع جانبي من شوارع فيصل. حينما زرته فيها لم يكن فخورًا، ولم يكن مكسوفًا منها، كانت قذرة وغير مرتبة وحينما حاولت أن أرتب بعض الأشياء، رفض وقال إن لكل واحد نظامه حتى لو بدا في نظر الآخرين فوضى.

كانت حالة حمدي تدعو إلى التعاطف معه، وكنت أيضًا في حاجة إليه، حاول أن يتقرب مني بحميمية، وحاولت أنا أيضًا. احتضنني بهدوء وصمت، دون أن يلجأ إلى إثارتي، استكنت إليه، كنت في حاجة إلى هذا الحضن، ولكن ليس أكثر. ويبدو أنه أدرك ذلك. فلم يضايقني، اكتفى – قبل أن نخرج – بأن قبلني على جبهتي ووجنتي.

قبل هذه الزيارة وبعدها تعددت لقاءاتي مع حمدي سواء على مقهاه المفضل أو في الكازينوهات المتناثرة على ضفتي النيل. وتكشفت لي خلال هذه اللقاءات أعماق جديدة لم أكن أعرفها من قبل. وبدأت أصدق فعلًا أنه ليس طفلًا، فالحزن العميق الكامن في عينيه يخفي عبئًا ثقيلًا، ليس الجانب الشخصي هو الأساسي فيه، بل ما أسماه الأزمة الفلسفية، أزمة الوجود : العبث الذي يحيط بكل شيء. كل شيء فاقد لهويته، وليس هناك يقين في أي شيء لا في داخل الإنسان ولا في خارجه.



fb/mashro3pdf

ولأول مرة أنتبه إلى مشكلتي الحقيقية التي لم أكن أفكر فيها من قبل، وأنا التي تعمل في ميدان الحضارة والفلسفة والهوية، انتبهت أنني أعيش حياتي كما يعيش حمدي وجيله رغم أنني لست منهم. ورغم أن ظروفي مختلفة اكتشفت أنني ممزقة داخل نفسي وفي علاقاتي مع الآخرين، وأن الآخرين كذلك ضائعون، حتى من الأجيال الأكبر. عاد أبي من السعودية ومعه المال الذي أراد، ولكن ماذا يفعل به وبحياته كلها؟ لا شيء. خالد أخذ زوجته وذهب إلى الكويت يعمل هناك ويعيش، وحين يأتي أحيانًا في الإجازات أجده قد تغير كثيرًا. حتى خفة دمه التي كنت أظن أنها غريزة فيه. اختفت. صار متجهم الوجه منحني الكتفين، قليل الكلام. "صفاء" هي الأخرى في السعودية مع زوجها، ورغم أن شهورًا قليلة لم تنقض على الزواج فهي تكاد تنفصل. لا تستطيع الحياة في ذلك المجتمع، ولا مع زوجها الأناني الذي لا يهتم بها. تقول أنها تريد أن تعود في أسرع وقت.

وأنا بين محمود وعلاء وهاني وحمدي. محمود في حاله لا يهتم بي بعد كل ما حدث. علاء عدت أرعاه بكل ما أستطيع من حب وحنان ولكن أنا نفسي في حاجة إلى هذا الحب والحنان. ومع ذلك فهو ينمو ويكبر. هاني تبدو علاقته الجديدة قد انتهت أو على وشك الانتهاء لأنه اتصل بي واعتذر عما فعله بي منذ شهور. يبدو ضائعًا، وأنا لا أحتمل شخصا ضائعًا، لأنني نفسي في حاجة إلى قوة. وحمدي رغم أنه ليس قويا إلا أنه على الأقل صادق في معاناته، وقادر أن يتأملها وأن يحاول مواجهتها. ثم أنه لا يطلب مني شيئًا. بصراحة هو شخص لذيذ هادئ لطيف. ولكنه عصبي أحيانًا يثور لأتفه الأشياء ولا يهدأ إلا بعد مدة، وفي هذه الحالة لا أعرف كيف أتعامل معه، لأن أي شيء لا يفيد، تعلمت مع الوقت أن أصبر وأبتعد وأنا على ثقة أنه سوف يهدأ، ويعود وديعًا رقيقًا.

أعطاني قصصه التي نشرت. وكان يقرأ عليّ – أحيانًا – بعض القصص التي لم تنشر بعد، أو التي يريد نشرها. لم أكن أرى فيها قصة بالمعنى الذي تعلمته عن القصة، ومع



fb/mashro3pdf

ذلك فقد كان بعضها يعجبني. الاتجاه العام لكتابته. كان يشعرني بنفسي، وأنه يمثل حالة تشتتي وضياعي. لم أكن أستطيع أن أربط الأجزاء ببعضها لأكمل حدوتة، وكان هو يقول أن ذلك ليس مهما لأنه لا يكتب حدوته وإنما يكتب حالة، أو مشهد مثل زملائه من الشعراء الذين يكتبون قصيدة الحالة أو قصيدة تفاصيل الحياة اليومية.

أشعر – مع الوقت – أنني أقترب من حمدي نفسيًا، وهو كذلك. لكني لا أشعر أن هذا الاقتراب، يعني الحب فقط أحتاج إلى كلامه، إلى رؤيته. ربما لمسة صغيرة من اليد، أو نظرة حنونة في العينين، أو قبلة على الخدين مع حضن أخوي خفيف، كان شيء هادئ ورقيق يتكون بيننا. وهذا ساعدني كثيرًا على الخروج من أزمتي مع هاني، بحيث إنني وجدت نفسي – مع الوقت – أستعيد توازني، وأستعيد اهتمامي القديم بعلاء، بل حتى وجدت نفسي أبدأ بجدية في العمل في رسالة الماجستير، دون أن أكون في حاجة إلى رؤية هاني إلا بين الحين والحين، وفي الكلية.

في هذه المقابلات لم يعد هاني إلى ما كان بيننا، ولم أعد أنا كذلك. كنت أعرض عليه ما أقوم به في البحث وكان ينصح ويوجه بلطف ولكن ليس أكثر من ذلك، ومع الوقت وجدت ذلك يغيظني – رغم أنه جعلني أنجز جيدًا في الدراسة – وبدأت أتوجس من موقفه وأخمن ما وراءه، ومع ذلك، فقد استمر الحال على ما هو عليه حتى كان ذلك المساء في بداية الربيع.

كنت عائدة من زيارة عمتي التي لا أزورها إلا لماما في المعادي، ومعي علاء يناغيني، حين لمحت من بعيد شابا وشابة يتعانقان بين الأشجار الكثيفة على رصيف شارع معتم , أثارني هذا المشهد جدًا بحيث إنني تصورت أن هذه هي المرة الأولى التي أعرف فيها

fb/mashro3pdf

هذا الشيء، الذي يسمونه الحب، كان مشهد الحبيبين المندمجين المبتعدين عن العالم آسرًا. يقول أن هناك أشياء أجمل بكثير مما عشته في حياتي، وأن من حقي أن أعيشها.

اضطربت أموري بعد هذه اللحظة، وتحولت في الشوارع طويلًا حتى بدأ علاء ينام على كتفي، فعدت إلى البيت وأنمته في سريره وجلست أفكر فيمن حولي. من يمكن أن يعطيني هذا الحق؟ فكرت في حمدي، ولكني لم أتخيله يقبلني أو يحتضنني بقوة وعنف، فلم أجد سوى هاني. لم يكن محمود في البيت اتصلت بهاني فلم يرد أحد، فانتابني حالة إصرار على أن أجده وظللت أتصل به حتى رد عليّ أخيرًا بعد منتصف الليل .

بدا مندهشًا ومرحبًا في نفس الوقت من لهجتي الودية، وكأنه التقط الرسالة التي حملتها نبرات صوتي المرتعشة.

- *سألني مالك؟ فقلت ماليش. واحشني بس.*
- *وانت كمان. أخبارك إيه؟*
- *باقلك واحشني*
- *طب تحبي تيجي؟*
- *أجي فين دلوقت؟*
- *البيت*
- *لا صعب. تعالي نتقابل برة. آه. بس علاء هاعمل فيه إيه. خلينا نتكلم على التليفون أحسن. أخبارك إيه يا وحش؟*
- *انتي اللي بايخة.*

fb/mashro3pdf

كانت هذه هي البداية لأمتع حديث تليفون عشته في حياتي حتى ذلك الوقت. أخذ كلام هاني يدغدغ حواسي ويخلع بألفاظه ونبرات صوته ثيابي قطعة قطعة، دون أن أستطيع أدنى مقاومة، بل بلذة وخدر جميلين، حتى وجدت نفسي، عارية تماما، وأنا أداعب أعضائي وصوت أنفاسه يلهب وجهي. قبل أن أنام هادئة وديعة بجوار علاء، الذي كان قد استيقظ، ودون أن أنتبه أعطيته ثديه المفضل فالتقمه وأخذ يمتصه بهدوء حتى نام.

fb/mashro3pdf

عادت صفاء بالفعل ورغم أن زوجها كان في إجازة، إلا أنه فضل البقاء في السعودية ليعمل عملًا إضافيا ويكنز مزيدًا من المال. عادت وفي بطنها جنين وكانت منهارة من الوضع هناك، فهي لا تعمل وليس لديها ما تفعله في البيت، والمشتريات — المتعة الوحيدة المتاحة هناك— لا تستطيع تحقيقها بسبب بخل الزوج، وجاء الحمل رغم أنفها. ورغم أنها قد أصبحت في الشهر السادس، فما زالت تفكر في الإجهاض، ويبدو أن أبي شعر بذلك فرغم أنها — بالتأكيد — لم تقل له ذلك، فقد وجدته ذات يوم يعنفها بشدة لأنها تريد أن تقتل نفسا خلقها الله.

كانت عودة صفاء. رغم حالتها هذه، بل وربما بسببها، مصدر سعادة لي، لأنها أكدت وجهة نظري — التي أصبحت يقينا — في سوء الزواج والأزواج. بالإضافة إلى ذلك، فإن وجودها كان مصدر أمان لي وأنا أستعيد علاقتي بهاني، وكنت قد بدأت أحكي لها عنه، وكانت مرحبة. مع استمرار صداقتي مع حمدي رغم أن لقاءتنا قلت، وبدأ يشوبها بعض التوتر لأنه كان — فيما يبدو لي— قد بدأ يتصور أنها علاقة حب.

كان من اللطف بحيث إنه لم يحدثني مباشرة في هذا الأمر. ولكن نظرات عينيه كانت -بحنانها وحزنها — تلومني على بعدي عنه، وكنت أنا ألمح إلى علاقاته المتعددة بالشابات رغم أنني كنت أعرف أنها مجرد زمالة في الكتابة. أو صداقة وإن كنت لا أدري



fb/mashro3pdf

مفهوم هذا الجيل للصداقة بين الولد والبنت. على كل حال لم أكن أرى في سلوكي ما يجعله يلومني، لم أعده بشيء، ولعلي لا أستطيع أن أعطيه أكثر مما أعطيه الآن.

وصلت آنذاك إلى حالة توازن معقولة تسمح لي بسرعة الإنجاز في رسالتي، وهو ما حدث بالفعل، ففي خلال سنتين من التسجيل كنت قد انتهيت منها بالفعل. كتب هاني تعليقًا ختاميًا على الكتابة الأولى للرسالة، بعد الملاحظات الجزئية والخاصة بكل فصل على حدة، قال فيه :

"من الواضح أنك باحثة ذكية وتمتلكين الأدوات الكافية لإعداد رسالة ماجستير. وأنك اطلعت على المراجع اللازمة لموضوعك، ولكن المشكلة الأساسية الواضحة، هي في طبيعة تفكيرك نفسه. واضح أن لديك انفصامًا في الشخصية يمنعك من أن تكوني رأيًا علميًا متسقًا ومتكاملًا.

هناك إعجاب شديد بما أنجزه العرب في الأندلس، وتجاهل تام لكونهم غزاة وتعتبرين أن استرداد الإسبان لبلادهم جريمة في حق العرب، ورغم أنني لا أوافقك على ذلك. فلأسلم معك، المشكلة أنك – في نفس الوقت – تعبرين عن الانبهار الشديد بالفكر الإسباني المعاصر، ولا تستطيعين أن تعترضي أو تناقشي أية فكرة من الأفكار التي يطرحها المؤرخون الجدد لمجرد أنهم إسبان، بحجة أنهم ينصفون العرب، في حين أنك لو تأملت جيدًا وراء أفكارهم لاكتشفت أن لهم في النهاية مصالح يسعون إلى تحقيقها.

تناقض غريب آخر في أفكارك بين الإشادة العالية بنمط الحياة الباذخة التي عاشها ملوك العرب في الأندلس، وبما فيها من مباذل وإباحية، وبين اعتبارك لهم ممثلين للإسلام ورافعين لشعاراته، ومتمسكين بشرع الله. هذه التناقضات، وغيرها تجدينها في

fb/mashro3pdf

مواقعها في فصول الرسالة تشير إلى أن هناك مشكلة في تكوينك الفكري والمنهجي، تحكمين على الأشياء بعواطفك أكثر من عقلك، ولديك مسلمات جاهزة متناقضة.

ولكن أظن أن ذلك يتصل بما سبق أن قلته لك من احتياجاتك المتناقضة".

انزعجت إلى أقصى درجة من هذا التعليق، ليس فقط لأنه لمس وترًا حساسًا بداخلي كنت قد بدأت أنتبه إليه بوعي وأحاول تجاهله فيما يختص بتفكيري ومشاكلي النفسية، ولكن لأنه سيسبب لي مشاكل علمية لم أكن قادرة على حلها في ذلك الوقت، والأهم من ذلك أنه جاء في وقت كنا فيه على وفاق وتفاهم على المستوى العاطفي. حاولت أن أفسر رأيه باعتباره محاولة للتخلص مني، أو شيء من هذا القبيل، وعبرت له عن ذلك، فأكد أنه مازال قادرًا على الفصل بين العمل والصداقة وأرشدني إلى الطريقة التي أمكنني بها حل المشكلات الأساسية التي يمكن حلها الآن. وتأجيل المستحيل منها إلى ما بعد.

خلال شهرين كنت قد انتهيت من إجراء التعديلات التي طلبها هاني، وكان راضيًا عنها، وكذلك أستاذتي، التي لم ترني سوى ثلاث أو أربع مرات أثناء إعداد الرسالة. أثناء طباعتي للرسالة ثم المناقشة وما بعد المناقشة التي حصلت فيها على تقدير ممتاز، كنت أسمع التلسين يزداد بين زملائي وحتى أساتذتي في القسم، بل أن هذا التلسين وصل إلى خارج الجامعة، لأني سمعته من حمدي :

*يقولون أنك أنهيت رسالتك بسرعة لأن الدكتور هاني ساعدك كثيرًا.*

وأنا لم أنف أبدا هذه المساعدة، بل لقد عبرت عن ذلك بقوة في تقديمي للرسالة أثناء المناقشة، قلت أنه لولا مشاركته في الإشراف ومساعدته العلمية والإنسانية لما كان لهذه الرسالة أن تنجز، ولكن هذا شيء وما يقصدونه شيئًا آخرًا. إنه لم يضع قلمه



fb/mashro3pdf

في الرسالة إلا بالملاحظات و التعديلات، أما أنه كتب لي الرسالة؟ كان وجوده الإنساني والعاطفي. وهذا طبعًا لم أقله، أهم داعم لي على الكتابة. على كل حال لم أهتم بالتلسين، لأني كنت سعيدة بالانتهاء من الرسالة. وبدأت أسعى للحصول على البعثة للسفر إلى إسبانيا لإعداد الدكتوراه. أخيرًا سيتحقق حلمي بالسفر إلى إسبانيا.

ولكن الإجراءات الروتينية كانت طويلة ومعقدة إلى درجة أنني شعرت أحيانًا أن هذا الحلم الذي توهمت أنه بين قوسين أو أدنى، هو حلم مستحيل. وقد استمرت هذه الإجراءات أكثر من سنة بين أروقة البعثات والجامعة والمستشار الثقافي في مدريد والجامعات الإسبانية، أخذ هذا معظم وقتي. أما بقية الوقت فكنت أقضيه مع علاء وصفاء وهاني وحمدي. محمود لم يعد مهمًا، فقد كانت نيتي – وقد وافق على سفر علاء معي – أنني بمجرد الخروج من مصر سأطلب الطلاق.

العلاقة الوحيدة التي كانت صافية، وتبدو وكأنها أبدية كانت علاقتي بصفاء أما علاقتي بحمدي – رغم تواصل لقاءاتنا – فقد كان واضحًا وأنها على وشك الانتهاء بعد تصديقه للإشاعة، وبعد علمه أنني على وشك السفر. ويبدو أنه كان أيضًا على وشك الدخول في علاقة جديدة وإن كنت أشك أنه يمكن أن يحب غيري على الأقل حتى ذلك الوقت.

مع هاني كنت مضطربة بين امتناني لوجوده معي، دون أن يغالي في طلباته – حتى انتهيت من الرسالة، وأيضا مشاعر الحب التي أكنها له والغيرة كلما جاءت زوجته، وبين رغبتي في السفر وتحقيق حلمي وطموحي، ولكن عزائي كما كنت أقول له أننا سنلتقي في إسبانيا الجميلة، وأيضًا في زياراتي لمصر، ولم يكن يبدو قلقًا وإن كان قد بدأ يأخذ الاحتياطات لحماية نفسه. وكان هذا يشعرني أحيانًا أنني قد توغلت بداخله أكثر مما يعلن وأنه يحمي نفسه من افتقاد كبير لي حين أسافر.



fb/mashro3pdf

فوجئت بموت أمي. كان المرض قد اشتد عليها في الأيام الأخيرة وأخبروني أنها في المستشفي لكني لم أقدر أنها وصلت إلى حد الموت. فلم أذهب لزيارتها في ظل مشاغلي وهمومي. حين علمت بخبر الموت سقطت مغشيا عليّ. كنت في بيتي، لم أقف إلا على يد محمود وهو يرش علي ماء الكولونيا محاولا إيقاظي. ذهبت إلى بيت أبي شبه منومة، لم أستطع رؤيتها، لأني لم أكن أستطيع أتخيل أصلًا أنها ممكن أن تصمت إلى الأبد..

ظللت كذلك طوال أيام العزاء الثلاثة. أتلقي العزاء في صمت دون أن تسقط مني دمعة واحدة. عكس صفاء التي كانت منهارة من البكاء. كانت معهم في المستشفي وشاهدت أمها وهي تموت. كنت مثل أبي صمت ثقيل ودائم. لم نتبادل الحديث بيننا كانت المعزيات يثرثرن كعادتهن، بل إن بعضهن لم يتورع عن الاتصال بالموبايل ببيوتهن للاطمئنان على الأطفال.

يوم الخميس ذهبنا إلى المقبرة.. كانت المرة الأولي التي أذهب إلى هناك، مدينة كاملة بجوار المقطم، يعيش فيها ناس عيشة كاملة. في مقبرتنا كانت تقيم أسرة في الحجرة التي كانت مخصصة لاستقبال أهل الميت. ما زالوا يصرون علي استخدامها هكذا رغم أنها مليئة بأثاثهم. لكن بها ثلاث كنبات بلدي في ركن، يمكن الجلوس عليها.



fb/mashro3pdf

كان شعوري غريبا وأنا في هذا الجو. تأكدت يومها فقط أنني فقدت أمي إلى الأبد، وأنها ترقد تحت هذا التراب جسداً بلا روح، لا شجار ولا حنان مكتوم، لا أمومة. لم تعد لي أم. مشاعر الحزن والألم و الإحساس بالذنب لأني جافيتها إلى درجة أنني لم لزيارتها وهي تموت.

بعد العودة من المقابر انفجرت في البكاء وصرخت في وجه أبي وفي وجه صفاء، كيف لم يخبروني أنها تموت. كيف لم ينبهوني إلى أنني مجنونة، كيف يتركونني أعيش في هذا العذاب. كانوا أكثر تماسكا مني فلم يردوا عليّ بشيء، وكانت نظراتهم واضحة تشي باللوم. ومع ذلك لم ينطقوا.

كان رضا أكثرنا قرباً من أمه. وقد أصابته الواقعة بصدمة عصبية ألزمته غرفته. أتينا له بالطبيب ولكنه لم يتعاف سريعا، ظل لا يفارق غرفته. لم يشارك في الجنازة ولا العزاء ولا زيارة المقابر.

بعد أن هدأني محمود من ثورتي دخلت إلى رضا في الغرفة. كان يستلقي على السرير شاردا شاحبا، فهو لم يتناول الطعام منذ ماتت، بالقوة كان يجبر على شرب بعض العصائر. حاولت الحديث معه، أن أخرجه من حالته. حاولت أن أعقلن الأمر له و لنفسي، ويبدو أنني نجحت قليلا، فقد استطعنا – لأول مرة – من سنوات طويلة، قبل أن يسافر أبي، أن نتناول نحن الأربعة وجبة العشاء معًا، لكن دون أمي.

في المنام رأيت أمي التي لم أرها منذ شهور. كان وجهها شاحبًا معذبًا، كانت تسير بتثاقل في اتجاه بعيد عني، ولم تنظر إليّ. ناديت عليها مرات، رفضت أن تجيب أو حتى تلتفت إليّ، بل إنها أشاحت بيدها أن أتركوني بحالي.



fb/mashro3pdf

استيقظت فزعة ولم أستطع تفسير الحلم. لماذا هي في هذه الحالة. طبعا هي غاضبة مني. معها حق. لكن لماذا هي معذبة و حزينة ومرهقة.

لم أشك لحظة في أن لها الجنة. فقد كانت في النهاية ست طيبة، لم تفعل شيئا يغضب ربنا. وما فعلته فينا، أنا وأبي، لم يكن شرا، كانت وجهة نظرها في الحياة وكيف ينبغي أن تعاش، وهذا حقها أيضًا. طالما أنها لم تعتد على حقوق ربنا علينا، صحيح أنها لم تكن تصلي بانتظام، لكن الله غفور رحيم.

طوال الأيام التالية انتظمت في قراءة القرآن، وحدي أو مع أبي وصفاء ونهديه إليها داعين الله أن يغفر لها. وطوال الوقت كانت صورها تتراءى لي ومشاهد من علاقتي بها، حلوها القليل ومرها الكثير. ومع الوقت بدأت أستعيد توازني وأشعر براحة خفية تتسلل إلى نفسي، ومع بعض الشعور بالمسئولية إزاء هذا البيت الذي أصبح يحتاجني. فرغم وجود صفاء، وقدرتها علي رعاية رضا وبابا، فقد كنت أشعر أنني أستطيع التخلص من إحساسي بالذنب. ولذلك فرغم عودتي إلى بيتي، فقد حرصت على التردد دائمًا على بيت أبي و المساعدة في إعداد الوجبات، والاهتمام برضا الذي أخذت حالته في التحسن تدريجيا ولكنه خرج من الأزمة بشخصية مختلفة تماما، فقد المرح وطيش الشباب. صار حزينا ومهموما وقليل الحركة.

مع استمرار زيارات العزاء. والخمسان والأربعين التي حاول أبي أن يرفضها باعتبارها عادات فرعونية لكنه استسلم لضغط المحيطين، تعودنا على الوضع وبدأت الحياة تعود إلى سيرتها الطبيعية. ولكني أنا لم أعد إلى نفسي. شعرت أنني تغيرت كثيرًا. فقدت أشياء، فقدت حنان الأم الذي لم تكن تعرف كيف تعبر



fb/mashro3pdf

عنه. وفقدت إحساسي القديم بالحنق عليها واكتشفت شعورا بمأساوية الحياة. ولكن المسئولية الجديدة التي اكتسبتها، جعلتني أكثر صلابة وقدرة على إدارة أمور الحياة اليومية، بل وربما القدرة على معرفة نفسي على نحو أفضل و أعمق... معرفة صلبة ولكنها مأساوية. وبهذا الشعور عدت أنتبه إلى حياتي وأواصل ما انقطع، عدت إلى ترتيبات السفر التي كنت قد أهملتها. فقد كانت ملاذا ومهربًا.

fb/mashro3pdf

كانت فترة الإعداد للسفر غريبة للإيغال في عمق مشكلتي كما فهمت بعد ذلك. كنت سعيدة بالسفر، لدرجة أنني كما قلت كنت أصفي علاقاتي مع الآخرين. لكن بمعنى ما كنت أشعر أنني مطرودة من وطني، شعور زاد بعد أن فقدت أمي، وأنني ذاهبة لأبحث عن وطني الجميل في ماض انتهى ولن يعود..

كانت الإجراءات الروتينية التي لم أعرفها أبدا قبل ذلك حتى عندما عينت معيدة في الجامعة، تقول أن هذا الجهاز الإداري خلق خصيصا لإهدار وقت الناس وتعطيل مصالحهم، وقتل طموحاتهم إن أمكن.

وكانت الجماعات الإسلامية أو الإرهابية كما تسميها أجهزة الإعلام تمارس قتلا لجماعات من السياح وأفراد من الحكومة أو المثقفين. قتلوا فرج فودة وهددوا بالقتل نصر بحامد أبو زيد الذي درس لي بالجامعة ولم أعرف عنه أنه ملحد، رغم أنني لم أقرأ كتبه، بعد أن حكمت المحكمة بارتداده.

وفي المقابل كانت أجهزة البوليس تشن حملات مكثفة علي هؤلاء الإرهابيين وتقتلهم بالعشرات وتسجن منهم المئات كل يوم. كان جو المدينة مرعبا وخانقا بكماشات البوليس عند مداخل الكباري ومخارجها وفي كل مكان.



fb/mashro3pdf

وكان المثقفون، كما كان حمدي يحكي لي، يبيعون أنفسهم برخص التراب للحكومة كي تستخدمهم في مواجهة الإرهاب. كان رأيه أن الحكومة هي المسئولة عن الإرهاب لأنها هي التي تخلق العنف في المجتمع بزيادة العاطلين عن العمل، وغياب المشروع القومي الذي يجذب الشباب ويشعرهم أنهم مواطنون في وطن لهم عليه حقوق وعليه لهم واجبات. وكان يري أن هذا التوجه من المثقفين سقطة سوف يحاسبهم عليها التاريخ؛ لأنهم يتخلون في أصعب المراحل عن دورهم في قيادة شعبهم لمعرفة الطريق الصحيح للخروج من الأزمة.

ورغم أنني كنت أتهكم عليه وأسأله: هل تعرفون أنتم المثقفون فعلا الطريق الصحيح للخروج من الأزمة، وحينها كان يصمت صمتا حزينا، رغم ذلك فقد كنت أقرب إلى الاقتناع بكلامه. وكان هو ما يزال لديه بعض الأمل. أما أنا فقد كنت قد وصلت إلى درجة اليأس من أي إصلاح لحال البلد، بالإضافة طبعا إلى يأسي من إصلاح حالي أنا بداخلها.

أحيانًا كنت أداعبه وأقول له:

*ما تيجي معايا إسبانيا، نعيش في هوا نضيف وجو لذيذ، وأنت تتعلم أدب إسباني كويس وأنا أخلص دكتوراه، وممكن نتجوز هناك بعد ما انفصل عن محمود.*

وكان – دون أن ينتبه إلى نبرة المداعبة – يهز رأسه آسفا:

*أنا لا أصلح إلا للحياة هنا بكل قسوتها ومرارتها. لن أستطيع أن أكتب حرفا إذا خرجت من هذا المأزق.*



fb/mashro3pdf

كان يتحدث بصدق وحزن عميقين، جعلاني أتأثر بكلامه وأدرك إلى أي مدي يعيش في أزمة حقيقية بهذا الوعي الشقي كما وصفه هو نفسه. بمعني ما حمدت الله أنني لا أمتلك هذا الوعي الذي يجعلني أعيش تعيسة على هذا النحو ولكني تساءلت مع نفسي: أيهما أفضل أن يعيش الإنسان مأساته وهو لا يعرفها، لا يعرف جذورها ولا ملامحها. أم يعيشها وهو واع بها، ومدرك أنها مأساة لا حل لها.

قبل أن أغادر راودني إحساس حاد بأن حمدي في طريقة إلى الموت وأنني لن أراه بعد ذلك. ودفعني هذا الإحساس إلى نوع من الشعور بالذنب نحوه، ونحو نفسي. فكرت أنني بهيافتي أضعت على نفسي الفرصة الحقيقية الوحيدة للحب، مع هذا الإنسان الجميل، والذي تأكدت أنه يحبني حقًا. ربما كنت رغم محدودية أفكاري، قادرة على مساعدته في الخروج من مأزقه بحناني وأمومتي وأنوثتي. وفي تأملاتي مع نفسي، قلت أنه أجمل من أن يكون لي.

على كل حال، كان الأوان قد فات. انتهت إجراءات السفر، وحزمت حقائبي وتوجهت إلى مصيري وأنا في حالة مركبة من المشاعر المتناقضة:

سعادة ورهبة، شعور بالتحرر من قيود كثيرة تكبلني، وإحساس بفقد أشخاص وأماكن، وخوف من مجهول لا أعرف ماذا يحمله لي وإن كان إحساسي أنه يمكن أن يدمرني، وأن يفجر تناقضاتي التي نجحت في إخفائها حتى الآن.

كانت الصدمة قاسية حين خرجت من بوابة مطار مدريد. لم يكن بانتظاري أحد، ولذلك كان لا بد من أخذ تاكسي- توجهت إلى التاكسي الأقرب لي فوقفت بجواره مع حقائبي وعلاء. ورآني السائق الذي كان واقفا أمام



fb/mashro3pdf

سيارته دون أن يتحرك لمدة دقائق، ودون أن يبدي أي إشارة مع نظرات غريبة تحمل مزيجاً من الاحتقار والتأنيب. ارتبكت ولم أفهم ولم أدر ماذا فعلت حتى أكون في هذا الموقف، ولم أدر أيضًا ماذا أفعل و تحركت عيناي يمينًا ويسارًا أبحث عمن يساعدني، فقادتني عيناي إلى طابور من التاكسيات تصطف وراء بعضها البعض، فأدركت على الفور أنني من العالم الثالث، وأن هنا شيئا لا نعرفه اسمه النظام. وتأكدت طول الوقت – بعد ذلك – أن هذا النظام هو إله هذا العلم الجديد، الذي يحكم كل شيء علي الأقل ظاهريا.

كنت قد حجزت- من القاهرة- غرفة بالمدينة الجامعية. فتوجهت إليها فورا. ولكن ما إن وقفت أمام الموظفة في مكتب الاستعلامات حتى أصيب بالهلع الأكبر. حينما رأت علاء قالت إنه ليس لي الحق في الإقامة بالمدينة الجامعية مع طفل. ولم أفهم ولم أكن قادرة علي الفهم في ذلك الوقت، لأنني لم أكن أدري كيف أتصرف قالت الموظفة أنه كان علىّ أن أذكر في طلب الحجز أن معي طفلاً. ولم أستطع التذكر في تلك اللحظة إذا كنت قد ذكرت ذلك بالفعل أم أن هذا الأمر فاتني.

قلت لها أن الحجز قد تم عبر التليفون، وأن القنصلية الإسبانية في مصر تعرف لأنها أعطتني تأشيرة دخول لي وللطفل.

من حسن الحظ أن الموظفة كانت طيبة فنصحتني بالتوجه إلى بيت للطالبات، قالت أنه قد يقبلني والطفل. حملت حقائبي، وسرت مع علاء الذي أصبح الآن قادرا علي السير وحده، أربع سنوات. وأخذنا تاكسيا آخر إلى بيت الطالبات، الذي رفض أيضًا قبولي، وإن كان قد سمح لي بالإقامة لمدة أسبوع حتى أستطيع



fb/mashro3pdf

الحصول علي مسكن خاص. فليس مسموحا – في البيوت الجامعية – بوجود طفل، أو زوج.

خلال هذا الأسبوع توالت عليّ المدهشات. كثفت همي في الحصول على مسكن، وكان أمامي عائقان، أنني لست أورية وأن لدي طفل. بدأت تصوراتي عن إنسانية الإسبان تتبخر. وبدأت أكتشف عالما عنصريا مثل بقية المجتمعات الأوربية التي سمعت كثيرا عن عنصريتها. وزاد من مشكلتي أنني كنت قد أصررت على عدم التنازل عن الحجاب. لم أكن أدري أنه سيجعلني أعجوبة كلما سرت أو تواجدت بين جماعة. فيما بعد بدأت في التنازل عنه تدريجيا.

كان ضماني الوحيد الذي ساعدني في الحصول علي الاستوديو الصغير الذي أقيم فيه الآن، أنني لست طالبة عمل، بل طالبة علم.. كان معي ما يفيد أن جامعة الكمبلتنثيا قد قبلتني للتسجيل لدرجة الدكتوراه، وأنني مبعوثة بدخل ثابت من الحكومة المصرية.

حصلت أخيرا علي الاستوديو الذي أدفع فيه أكثر من ثلث دخلي، وبدأت أرتب أمور حياتي. فذهبت إلي الجامعة وأثبت وجودي إداريًا. ثم بدأت أبحث عن الأستاذ كورينتي المستشرق المعروف والذي كنت قد راسلته من القاهرة، وقبل أن أعمل معه، واقترح عليّ أن أعمق زاوية في الموضوع الذي درسته في الماجستير، وفي نفس المرحلة.

كنت سعيدة بالموضوع وبأنني سأعمل مع هذا الأستاذ العلامة المعروف والذي حسدني زملائي في القاهرة عليه. ولكن الأقدار (استغفر الله العظيم) كانت تقف في طريقي منذ جئت. اكتشفت أنه قبل مجيئي بعدة أشهر حدث خلاف



fb/mashro3pdf

حاد بين الأستاذ و بقية زملائه أدي إلى استقالته وانتقاله للعمل في جامعة أخري في سراقسطة التي تبعد عن مدريد حوالي مائتي كيلومتر.

بحثت عن رقم تليفون الأستاذ واتصلت به وذكرته بنفسي. فرحب بي بقوة، ولكنه نصحني بالتسجيل مع أحد الأساتذة بالقسم، لأن التسجيل معه مستحيل في الكمبلتثيا، كما أن التسجيل في الجامعة سراقسطة أيضًا مستحيل لأنني مبعوثة إلى الكمبلتنثيا رسميًا. فخاب أملي. وكان على أن أبحث عن أستاذ آخر، وربما عن موضوع آخر.

في هذه الأثناء ترددت علي مكتب الدكتور سامي العزبي، المستشار الثقافي في المعهد المصري لإتمام الإجراءات واستشارته في هذه المشكلة. ومن حسن حظي أنه كان رجلًا ودودًا ولطيفًا، وإن لم يمنع هذا طول الإجراءات الروتينية وتعقيدها. ساعدني الدكتور سامي في حل مشكلتي مع الجامعة ونصحتي بعدم التدخل في الخلافات الداخلية بين الأساتذة وبعضهم البعض، واتصل بالدكتورة بيجيرا وأوصاها عليّ وقال إنها صديقة حميمة لمصر ومتعاونة جدًا مع المعهد ومعه هو شخصيًا.

fb/mashro3pdf

لست أدري ما السر في انجذابي إلى الدكتور سامي الذي بدأ منذ رأيته أول مرة، ولم أنتبه إليه إلا بعد بأسابيع. هل هو اهتمامه بي الذي بدا لي – في وسط كل مشاكلي – الملاذ الوحيد في الحياة، أم المبالغة في الاهتمام، هو مبالغ فيه أم أنني توهمت ذلك، لا أدري. حين تأملت وجهه، وجدت فيه بعض ملامح من خالد وهاني، لم يكن نحيفا مثلهما تماما، ولكنه على كل حال لم يكن سمينا، متوسط العود، صعيدي من قنا، أسمر الوجه، متناسق الملامح، تنم عيناه عن طيبة دون أن تخفيا حدة الذكاء والحساسية. كان يعمل أستاذا في القسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية، ولكنه درس في إسبانيا وحصل فيها على الدكتوراه في الأدب الأندلسي. لم يكن متزوجا رغم أنه تجاوز الخمسين. ومع ذلك كان يبدو سعيدا، سعادة لا مبرر لها في حياته المرهقة حيث يعمل كثيرا، وبدا لي أن نورا صافيا ينبع من داخله، عن اطمئنان وإيمان عميق، لم أكن أدري مصدرها ولا كنههما.

كان يتعامل مع علاء بحنان بالغ، وكأنه ابنه، واعتبر أن مشكلة الحصول علي حضانة مناسبة، مشكلة شخصية له، ظل يسعي إلى أن وجد لها حلاً جيداً. وبهذا حلت معظم المشاكل الأولي التي وترتني طوال شهرين من الزمان، حتى أنني لم أكن قد انتبهت بعد إلى المدينة الجميلة التي أعيش في ضواحيها



fb/mashro3pdf

وأتنقل بين أحيائها المختلفة عبر شبكة المترو الواسعة والتي كانت مصدر إبهار لي، إذا قورنت في تعقدها بخطي المترو في القاهرة.

من حسن حظي أن مسكني يقع في نهاية أحد خطوط المترو الحيوية. من خلاله أستطيع الذهاب بسهولة وفيما لا يزيد عن نصف ساعة إلى أي مكان، وخاصة وسط المدينة حيث البلاثا مايور ومتحف البرادو وحديقة الريتيرو ومجموعة الميادين الصغيرة الجميلة التى تربط بينهما مجموعة من الشوارع الصغيرة القديمة، يفضى بعضها إلى بعض، والتى تمتلئ كلها بالبشر في الأمسيات وخاصة في نهاية الأسبوع بدءا من مساء الجمعة.

حين يكون الجو جميلاً يسمح بالخروج إلى الشوارع، كان الناس يملأون هذه الشوارع، والميادين يحتسون الشاى أو القهوة أو البيرة يأكلون الآيس كريم. أما إذا كان الجو ممطرا، فكانوا يجتمعون في داخل المقاهى والبارات ومحلات الرقص. بدءا من التاسعة أو العاشرة تمتلئ المحلات عن آخرها بالشاربين والشاربات ويبدأ الرقص المجنون حتى الساعة الأولى من الصباح.

في البداية كنت أتجول – متوجسة – مع علاء في ساعات ما بعد الظهيرة وأول المساء. فيما بعد حين تعرفت على مليكة وفاطمة، كان يمكنني أن أترك علاء معهما، وأجلس مع الناس – وحدي – في الميادين أو المقاهي دون خشية لأنني قد ألفت الأماكن، وبدأت في التعرف على عادات الناس. على كل حال لا أحد يتدخل في شئوني طالما أنني لا أتدخل في شئون أحد. ثم أنني بحجابي، في مراحله المختلفة، لم أكن موضع اهتمام من أحد، وإن كنت محط نظرات التعجب والاستغراب. كان هذا مصدر قلق لي في البداية ثم اعتدت عليه.

fb/mashro3pdf

كنت مهمتة باكتشاف هذا العالم الجديد الملئ بالغرائب بالنسبة لي، والذى كان مختلفا عن الصورة التى رسمتها له قبل مجيئى. حاول الدكتور سامى أن يساعدنى في الفهم، وذهب مرة معي إلى وسط المدينة لتشجيعي على ارتياده، ونصحنى أيضًا بزيارة مكتبة الاسكوريال القريبة من مدريد، بالإضافة طبعا إلى طليطلة والجنوب، ولكني لم أكن أريد الخروج من مدريد قبل أن أتعرف علي ملامحها الأساسية التي تساعدني علي الحركة والتنقل.

ذات مرة وأنا جالسة في مقهى كيخون بالبلاثا مايور وجدت نفسي أطلب ثيرفيثا. كنت قد تعودت على الاسم من كثرة جلوسي على المقاهي التي أعجبنى نظامها، واستمتاع البشر بالجلوس عليها باسترخاء ومتعة لم أظن أبدا أنني يمكن أن أحظى بهما في حياتي المعذبة. قلت ربما كانت البيرة وراء هذا الإحساس بالمتعة فلم لا أجربها، وخاصة أنها ليست من الخمور كما فهمت من هاني قبل ذلك ومن الدكتور سامى الذى لم يتورع عن شربها في المرة التى اصطحبنى فيها إلى هذا المقهى بالذات، هى إذن ليست حراما.

كان طعمها مرا وغريبا إلى درجة أنني كدت ألفظ أول جرعة من فمي لولا وجودي وسط الناس. تجرعتها بصعوبة ولكن فمي تعود على طعمها مع الجرعات التالية. وبدأت أشعر بخدر لذيذ كدبيب النمل يسري في أوصالى، وكأن شخصا حميما يدغدغني. ومع ذلك فقد قررت أن أكتفي بزجاجة واحدة صغيرة، خشية أن أفقد توازني قبل أن أعود إلى البيت. والحمد لله لم يحدث شيء.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

تعرفت على مليكة الجزائرية وفاطمة السورية. تعرفت عليهما في الجامعة، كانتا تدرسان تحت إشراف نفس الأستاذة. تعرفت على عربيات وعرب آخرين لكني وجدت مع مليكة وفاطمة تقاربا في الأفكار والمشاعر، كما أنهما كانتا تسكنان- معا- بقرب منزلي. وكان هذا يساعدني على ترك علاء معهما أحيانًا، حينما تكون لدى دروس بعد موعد الحضانة، أو حينما أريد أن أكون وحدي. كما أنهما أحبتا علاء وساعدتاه كثيرا في تقبل الإسبانية وتأكيد كلماتها الأولى التي كان يتعلمها في الحضانة. وكان هو نفسه مستريحا إليهما، بل كان قد أحبهما وتعود عليهما وسكن.

عجيب أمر هؤلاء الأطفال. كان شديد الانزعاج في البداية من كل المشاكل التي قابلناها. ورغم أنه لم يكن يستطيع أن يعرف بالتفصيل طبيعة المشكلة إلا أن التوتر والقلق اللذين كانا يبدوان على وجهي وفي سلوكي، كانا ينتقلان إليه، فيصبح عصبيا، كثير البكاء. في بعض الأحيان، كان يشعر أنني في مشكلة أكبر من أن أحلها، فكان يهدأ ويقترب مني ويحتضنني بحنان كمن فهم أنني في حاجة إلى العون والمساندة. كم كنت أحبه في هذه اللحظات.



fb/mashro3pdf

مع الوقت والتعود على الحضانة بدأ يكون علاقات مع زملائه وزميلاته في الحضانة. كان يميل إلى البنات أكثر، إلى درجة أنه كان يعاكسهن في الشارع. حمدت الله أنه قد طلع لي ولم يطلع لأبيه، كانت بقت كارثة.

لم ينس علاء أباه تماما وإن كان تعود على غيابه. كان يسأل عنه كثيرًا في البداية، وخاصة أن محمود كان دائم الاتصال في الشهر الأول ليطمئن علينا. أحيانًا كان علاء يلح فنتصل نحن به. ومن ناحيتي لم أكن ضد أن تكون صلة علاء بأبيه طيبة، ولكني في نفس الوقت كنت أبحث عن الطريقة التي سأقدم بها لعلاء مسألة الانفصال التي طغت عليّ قبل أن أسافر والتي ربما كانت أحد الأسباب وراء سفري. لكني- طبعا- لم أشر إلى ذلك لمحمود.

في البداية ظننت أنني في حاجة إلى مسافة تجعلني قادرة على تقييم العلاقة - من بعيد- على نحو موضوعي. ورغم المشاغل والتوتر كان ذهني يعمل ويفكر في هذا الأمر فعلا، ووجدتني أصل إلى قرار أنها علاقة لا جدوى منها ولا مستقبل لها. يستحيل أن أعيش مع واحد مثل محمود مهما أظهر من لطف وحنان في بعض الأوقات. فأنا لا أحتمل شذوذه، و الحياة معه بهذه الطريقة أسوأ من الانفصال بالنسبة لعلاء. على الأقل سأكون أقل توترا وأستطيع أن أربيه في هدوء. وحين يأتي الوقت الذي يذهب فيه لأبيه يكون قد اكتمل نموه على نحو سليم ويستطيع أن يقاوم مثالب أبيه.

ساعدتني مليكة وفاطمة في اتخاذ هذا القرار. وكذلك كان رأى الدكتور سامي حين توطدت علاقتي به وحكيت له الجوانب الأساسية في المشكلة، وإن كنت قد تأكدت بعد ذلك أن دوافعه في إبداء هذا الرأي كانت تختلف عن دوافع صديقاتي. ليس هذا اتهامًا له، بل ربما أنا نفسي كنت أتمنى أن تكون دوافعه مختلفة، فهو رجل وأنا قد بدأت



fb/mashro3pdf

أميل إليه. أما هما فمهما حدث، لن تتزوجني إحداهما. ومع ذلك فإن تأثير رأيهما علي كان أقوى بكثير من تأثير رأيه.

كانت لكل من مليكة وفاطمة روح شفافة صافية صادقة، وهذا في الحقيقة هو ما جذبني إليهما دون غيرهما. لم تكن المساعدات التي قدماها لكي أتعود على العالم الجديد، والاهتمام بعلاء وحدها هي السبب، فقد كانت الروح التي دفعتهما لتقديم هذه المساعدة هى نفسها الروح الصافية الشفافة، وهى الجذر العميق وراء سلوكهما معي وفي الحياة عامة.

لقد تعرفت عليهما بالتدريج. في البداية كانتا حنونتين متفهمتين لمشاكلي العلمية. وبعد ذلك لمشكلتي العميقة في الحياة. ويبدو أننا جميعًا نعيش نفس المشكلة، وخاصة حين نكون في الغربة ونضطر إلى مواجهة الآخر، أو نضطر إلى مواجهة أنفسنا لكي نكون قادرين على مواجهة الآخر.

لقد كادت الصدمات المتوالية التي حدثت لي بسبب غرابة هذا المجتمع تعصف بي وتضعني في حالة تمزق مطلق يقودني إلى جنون نجوت منه إلى حين. لم أكن قادرة علي فهم هذه العنصرية وهذا العداء، ولم أفهم معني الديمقراطية التي يتشدقون بها ليلاً ونهارًا وهم غير قادرين على أن يسمحوا لامرأة واحدة- مثلي- أن تخرج علي إجماعهم في الزي، وتلبس الحجاب الذى لن يضرهم في شيء.

كان من رأى مليكة وفاطمة أن الحجاب ليس هو القضية. وأنني أستطيع أن أخلعه دون أن أخسر كثيرا، هذا في حالة ما إذا نجحت في حل مشكلتي حلاً جذرياً، مشكلة هويتي. قالت مليكة: "هل هذا الحجاب هو — وحده — الذي يعلن أنك مسلمة؟ أم أن المسألة أعمق من ذلك". وهنا بدأت أتعرف علي أنهما مرتا بنفس المشكلة حين



fb/mashro3pdf

وصولهما، لكن يبدو أن معاناتهما كانت أكثر قسوة. فقد كانا هنا منذ ثلاث سنوات، عاشتا العامين الأولين في صراع وعذاب حاد حتي هداهما الله إلي الحل العميق للمشكلة، وهما الآن تبدوان سعيدتين راضيتين.

في البداية تحفظتا في الحديث معي عما أوصلهما إلي هذه السعادة والرضا. اكتفيتا بمساعدتي عمليا وطمأنتي نفسيًا، حتى تجاوزت معظم مشاكل البداية. وبعد ذلك جرتنا الأحاديث في الأمسيات الرائقة إلى الجماعة التي تنتميان إليها. كنت قد لاحظت الشهور الأولي أنهما تختفيان في نهاية الأسبوع. وكنت أتصور أنهما تقضيانه مع معارف أو أصدقاء أو حتي أحباء، مثلهما مثل الإسبان الذين تصورت أنهما اندمجتا فيهم، وحين كنت ألمح إلى ذلك بالإشارة إلى المراقص أو المقاهي، كانتا تبتسمان دون الاستدراج إلي هذا الحديث، ولم أكن أفهم. فيما بعد فهمت أن مسلكهما معي، لم يكن ناتجا عن ظرفهما الشخصي ورضاهما الداخلي فقط، بل كانت طريقة متفقا عليها لدي الجماعة، في التعامل مع المريدين الجدد.

قادتاني بالتدريج لأن أنشغل أنا نفسي وبدوافع داخلية إلي التساؤل عن سر سعادتهما، وكيف لي أن أكون مثلهما, بدأتا الحديث في خيوط تتماس تماما مع ما كنت أشعر به وأعيشه في علاقتي الخاصة بربي، هذه الخصوصية التي كانت ملكًا لي وحدي لا أحد له الحق في الولوج إليها أو التساؤل حولها. صحيح أن أبي كان دائمًا يلح عليَّ في الالتزام بالفروض الخمسة وخاصة الصلاة، لكن هذا الإلحاح لم يكن يترك في أثرا. فأنا أكثر من يعرف مدي قربي من الله بغض النظر عن صلاتي أو صومي. كان لدي شيئا كبيرا أكبر بكثير مما يعرفه الناس، حتي أبي.. أنا أعرف أنني ملكية مطلقة وخالصة له، وأن ما أفعله ليس إلا بتوجيه مباشر أو غير مباشر منه. كنت أحب التشبه برابعة العدوية التي كنت أعرف عنها عشقها الإلهي على نحو عام وغامض. وفيما بعد, أثناء رسالتي



fb/mashro3pdf

للماجستير كنت قد بدأت التعرف على متصوفة الأندلس وفلاسفته المسلمين ابن باجة وابن عربي وابن سبعين وغيرهم. وكنت أجد نفسي قريبة من هذه الأفكار, ولكن أمور حياتي شغلتني عن التعرف عليهم بعمق, وهذا ما جذبني إلى جماعة مليكة وفاطمة. فبعد التمهيدات الأولية, وبعد أن وثقتا أنني صادقة في إيماني وفي توجهي المخلص الصافي, اصطحبتاني, مع علاء, للقاء الجماعة.

كانت المرة الأولى التي نخرج فيها من مدريد. . لاحظ علاء أننا لم نركب المترو وإنما ركبنا الأتوبيس. سألني:

- *إحنا رايحين فين يا ماما.*
- *رايحين نتفسح.*
- *طب ماحنا بنتفسح في المترو.*
- *المرة دي رايحين نتفسح كلنا مع تانت مليكة وتانت فاطمة.*
- *ماما أنا باحبهم قوي. ممكن أروح معاهم لو أنت مشغولة.*
- *لا يا حبيبي أنا باحب أبقي معاك.*
- *مش دايما يا ماما. انت طول الوقت بره وأنا يا في الحضانة يا معاهم.*
- *هما بيحبوك قوي يا علاء وأنا يا حبيبي لازم أشوف شغلي. وبعدين أنت لسانك بقى طويل كده ليه. طالع لأبوك.*
- *بابا واحشني قوي يا ماما. بابا حلو. بيحبني وبيدلعني أكتر منك. كل ما أعوز حاجه بيجبها لي.*

fb/mashro3pdf

أصابني علاء باكتئاب. فكرت أنني أهملته كثيرا, وأن غياب أبيه سوف يصبح مشكلة كبيرة. وأنه قد بدأ يتمرد عليّ. لم أقل لمليكة وفاطمة, ولكنها لاحظتا ماحدث فانشغلتا بملاعبة علاء وتركتاني صامتة حتى وصلنا.

كان ذلك في عطلة نهاية الأسبوع. بيت ريفي يبعد حوالي العشرين كيلو مترا من مدريد. قريب من طليطلة, توليدو كما أصبح الأسبان ينطقونها الآن. بيت ريفي وبسيط وجميل محاط بحديقة صغيرة لكن معتنى بها, تعج بالزهور والأشجار المتنوعة. فهمت أنه ملك لأحد أعضاء الجماعة, وأنهم يلتقون دائمًا هنا, في نهاية كل أسبوع يقضونه كله مع بعضهم البعض. أحيانًا يغيرون المكان ويلتقون في مكان آخر في داخل مدريد أو خارجها, لكنهم في الفترة الأخيرة استقروا في هذا البيت.

حوالي خمسة وعشرين رجلاً وامرأة وإن كانت الغلبة للنساء وبعض الأطفال الصغار. من أعمار مختلفة ومن جنسيات متعددة, عرب من تونس والمغرب والعراق وسوريا والجزائر وألمان وفرنسيين وإيطاليين وبرتغاليين وإيرانيين. منهم الشباب والشابات والكهول والشيوخ, لكنهم جميعا يعرفون العربية بدرجات مختلفة, تسمح بقراءة بعض آيات القرآن. وإن بلهجة مكسرة كانت تضحكني في البداية ولكن تعودت عليها وأكبرت مجهودهم فيما بعد, مما أسعدني أنني وجدت بعض النساء, حتى الأوربيات يلبسن إيشاربًا لطيفًا جميلاً, يمكنه أن يحل محل الحجاب.

عرفتني مليكة وفاطمة على أعضاء الجماعة. رحبوا بي بشدة, خاصة أنني كنت أول مصرية تنضم إليهم. كانو يراهنون – كما قالوا – على قدرتي – كمصرية – على قراءة القرآن بلغة سليمة. يبدو أنهم صدقوا أن اللهجة المصرية هي لغة العرب المعاصرين, رغم أن الصلة الأساسية للإسبان هي بالمغرب التي يعتبرونها جزءا من إسبانيا, وربما لأن أهم قراء

fb/mashro3pdf

القرآن مصريون. ضحكت وسعدت أنني أمتلك شيئا خاصا أستطيع أن أقدمه لهم. وبالفعل في بداية الاجتماع رحبوا بي, وعلى سبيل الترحيب طلبوا مني أن أقرأ لهم ما أحب من آيات القرآن. فقرأت لهم من سورة الكهف:

*"فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنّا علما. قال له موسى هل أتبعك علي أن تعلمني مما علمت رشدا. قال إنك لن تستطيع معي صبرا. وكيف تصبر علي مالم تحط به خبرا. قال ستجدني أن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا. قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا. فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا. قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا. قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا. فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا. قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا. قال أن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت مني عذرا. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل القرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا. قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا. أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً. أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا. فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما. وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا".*

كنت قد أخترت هذه الآيات لأنني أحفظها وأحب طابعها القصصي ولأني أعرف أنها بالذات من الآيات التي يهتم بها المتصوفة والزهاد لأنها تحوي الظاهر والباطن والتأويل وتشير إلى الأولياء وكراماتهم. ولكني لم أكن أقدر أن هذا الاختيار سوف يلقى لديهم هذا



fb/mashro3pdf

الاهتمام والتقدير لي واليقين بأنني قريبة منهم جدا كما أن صوتي وطريقة إلقائي قد جعلتهم يعيشون في حالة غريبة من النشوة, قادتني أنا نفسي إلى لذة غريبة. فكنت أقرأ وكأن قوة عليا هي التي تنطقني. ولأول مرة منذ جئت إلى هنا أشعر بالأمان والاطمئنان المطلق, بل إنها كانت أول مرة في حياتي أشعر فيها بهذا الوجد العميق. أنا مع ربي, ولكن لست أنا وحدي فقط. معي آخرون ولكنهم ليسوا منفصلين. هم أيضًا معه. شعور غريب, لم يتكرر للأسف. وكم أنا في شدة الحاجة إليه الآن.

بعد هذه البداية الجميلة أفاقتنا آمرة الجماعة, وكانت إسبانية تعرف العربية جيدا, لنعود إلى درس اليوم. كان تذكيرًا للأعضاء بمبادئ الجماعة, ولكي يتم تعريفي بها وإدماجي معهم.

"المبدأ الجوهري هو "وحدة الوجود" مستمدًا من فلاسفة المسلمين في الأندلس. الهدف هو الوصول إلى الله بالعزلة عن الآخرين. نريد أن نكون ربانيين لنكون سعداء, إذا تحررنا مما يشغل البشر. ولكن العزلة عن الآخرين لا تعني أن يكون كل فرد منعزلاً بذاته, بل سنكون معا, جماعة واحدة متحدة, لسنا ضد المادة كما كان يقول ابن باجة, وإنما نسعى إلى المعرفة اللذيذة المفعمة بالحكمة, المجلوة المعاينة والمعاشة وليست التأملية. نريد أن نعيش حياتنا معًا أصفياء أنقياء. المهم أن نبتعد عن هذا العالم الشرير. علينا أن نتخلص من شرور العالم الجديد, من شرور ما يسمونه بالحضارة. .. العودة إلى الطبيعة هي الحل. ليست الطبيعة الخارجة فقط, بل طبيعتنا نحن, الطبيعة الإنسانية التي جبلها الله فينا. أن نعود كما ولدنا صفحة بيضاء قادرة على الحب والاخلاص والنقاء والتواصل نريد أن نهدي كل البشر إلى طريقنا ولكننا لسنا بقادرين. وما نعيشه بيننا محرم علينا أن نعيشه مع غيرنا. نحن أسرة واحدة. نحن الأسرة الواحدة الوحيدة. وأسرارنا ليست مباحة. علينا أن نحتفظ بها في دواخلنا, ولا نبوح بها إلا لمن نثق أنه قريب منا راغب في الانضمام إلينا ".



fb/mashro3pdf

كان الكلام جميلاً مقنعًا بالنسبة لي. متوافقًا مع معتقداتي القديمة والأهم من ذلك أنه كان يعدني بأسرة جديدة جميلة أنا في شدة الحاجة إليها في ظروفي الصعبة. بدت لي هذه الأسرة أمانا واطمئنانا ووجدت فيها ما بدا نوعا ما من الحرية الفكرية البعيدة عن التعنت والشكلية.

غير أن مسار الحياة في بقية اليوم أظهر لي بعض الأشياء المقلقة التي وجدتها متعارضة مع هذة الحرية. فثمة جماعية في كل شيء. في الصلاة والدعاء والذكر والطعام. ولكن الجمعية ليست جماعية متساوية, فقد ظهرت بعض الرئاسات. فبالإضافة إلى الآمرة هناك ما يشبه النواب. كل منهم مسئول عن جانب من الطقوس والممارسات. ومن بين هؤلاء كانت مليكة وفاطمة لاحظت أيضًا أن ثمة تقاربا بين بعض الشابات وبعض الشباب رغم أنهم غير متزوجين. وكان هذا مصدر قلق لي مع سعادة خفية أيضًا.

في المساء بعد انتهاء الدروس جلسنا معًا في الحديقة – وكان الجو إبريليًا لطيفًا – لتناول طعام العشاء, وكانت صدمتي الكبيرة بقدر الفرح, إذ وجدت أن الشراب مباح مع الطعام, أنواع متعددة من الأنبذة والبيرة, بالإضافة إلى السانجرية المألوفة عند الإسبان. وهذا أعطاني الفرصة كي استمتع بالبيرة، التي كنت اعتدت عليها في مدريد. ويومها نصحوني بتناول النبيذ الأحمر, فهو شراب رباني في عرفهم ولست أدري من أين أتوا بهذا الكلام. قالوا إن بعض الفقهاء حلله.

أثناء الأمسية لاحظت أن بيتر الألماني, الذي سمى نفسه بعد إسلامه عبدالله. مهتم بي على نحو ما, تتابعني عيناه بهدوء وصمت, ويبدو لي أنه أعد نفسه لكي يجلس بجواري أثناء الطعام, على يساري فيما كان علاء يجلس على يميني. كنت مشغولة بشرابي اللذيذ وبإطعام علاء. ولم أكن أهتم –كعادتي – بالطعام كثيرا – لكن بيتر أخذ ينبهني إلى ضرورة

fb/mashro3pdf

الحد الأدني من الطعام كي نستطيع أن نبقى أحياء. قال إنه أيضًا لا يحب الإكثار من الطعام, هو يحب حلاوة النبيذ وجمال النساء, وكان هذا بداية للإشارة إلى جمال عيني ورقتهما وصفائهما وحزنهما الذي شده. كان يتحدث بالإسبانية مع كلمات عربية قليلة يعرفها.

كان يتحدث وسط الناس, وكأنه يتحدث إليّ وحدي, وكأنه يجلس وحده. كان يتحدث كما لو كان في حالة وجد صوفي, لا يحادث شخصا آخر, بل يخاطب نفسه, وكأني توحدت به, كان يتحدث كما لو كان قد وصل – معي – إلى الاندماج في الذات الإلهية. ويبدو أن حديثه العذب – مع الشراب – قد أصابني بالعدوى فرحت أتابع شرابي وإطعام علاء في صمت مستمتع لطيف. ولا شك أنه لاحظ ذلك, لأنه كان في انتظاري, حينما أنمت علاء مع مليكة وفاطمة, وخرجت لكي أبحث عنه في الحديقة.

fb/mashro3pdf

عدت إلى مدريد وأنا في حالة نشوة وصفاء. كنت سعيدة بانضمامي إلى هذه الجماعة, وبصفة خاصة بالتقارب الحميم الذي تم بيني وبين عبدالله بيتر, كان تقاربًا روحيًا عميقا لم أعش مثله مع أحد آخر قبل ذلك. بداخله شاعر حقيقي ومتصوف كبير, وإن كان هو نفسه لا يبدو مدركا ذلك.. هو يعيش حياته هكذا دون أن يفكر في تسمية لها. كان في إسبانيا يعد دكتوراه في مجال التصوف. أختار ذلك حتى يكون متسقا مع نفسه, مع احتياجاته ورغباته. كان يتحدث عن نفسه وكأنه يتحدث عني, وحين تحدث عما شعر به إزائي منذ الصباح الأول. شعرت أنه صادق إلى درجة أنني تلمست الطريق في الظلام إلى يده, التي كانت لمستها حنونة دافئة, وكان حضنه الطويل قبل الافتراق إلى غرفتينا أجمل حضن في حياتي. لم نكن لا أنا ولا هو نرغب في المزيد. لم نكن نريد من الحياة كلها — في تلك اللحظة — سوى هذا.

عند عودتي إلى مسكني وجدت خطابين أخرجاني من نشوتي, وقادني أحدهما إلى الحزن والآخر إلى الغضب. كان الأول من حمدي:

عزيزتي هناء

تحياتي وأشواقي. لم أعد قادرًا على إخفاء مشاعري نحوك. كنت قد اطمأننت إلى وجودك في حياتي, حتى ولو لم تكن لقاءاتنا كثيرة. حاولت أن أشغل نفسي عنك,



fb/mashro3pdf

أنساك يعني بأن أخطب أخرى, لكني كنت أعرف أنني أضحك على نفسي. وهذا ما حدث بالفعل، لم أستطع الاستمرار في التمثيلية. أخيرا انتهى الأمر.

بعد سفرك أخذ الشعور بفقدانك يتزايد يوما بعد يوم. قاومت رغبتي في الكتابة إليك طوال هذه المدة، ولكني لم أعد قادرا. بالأمس كان أربعين مجدى الجابرى. تعرفينه، التقينا به مرة معا على المقهى إياه. هذا الشاب العجوز، وجهه وجه طفل وسيم وعينان حزينتان، صافيتان للحزن، ذو لحية خفيفة، لا يبدو أنه يهتم بها. كان شاعراً جميلاً عانى طويلا من مرض السرطان، كان يعرف، وكان يكلم الموت حينما علم أنه آت لا محاله. كان يقول له في قصيدة اسمها : "مورد جثث".

سواء كان اسمك سفر أو عزرائيل أو عبد

الرحمن

وسواء كانت هيئتك اللي بتظهر فيها ثعلب أو

تمساح أو حمامة بيضا...

مش... هتفرق... طالما اتفقنا وتممنا الصفقة.

وإديتك أبويا واديتني عشرين سنة

واهم عدو

.....

عايز تاخدني، تتعاقد مع حد غيري

fb/mashro3pdf

أنا مورد جثث. وفاهم شغلتى كويس وحببها

أيوه. فاكر نظرتك لي بعد ما دفنا جدي

كنت أنت ساعتها لابس هيئة التربي

أنا ماخدعتكشي.

شعره جميل رغم العامية, أليس كذلك؟

في الأربعين اجتمع أصدقاؤه, أبناء جيلي, جيلنا معا في الأتيلية وقرأوا كثيرًا من شعره. وبعضهم قرأ شعرًا عنه, من أجمله هذا المقطع من قصيدة أسامة الديناصوري سماها "وفاة مورد الجثث":

على فكرة يا مجدي..

لي عندك خدمة يا خويا

ياريت.. عشان خاطري.. يعني لو سمحت..

تكلملي الباشمهندس عزرائيل

تلاقيه بقى صاحبك دلوقتي الروح بالروح.

وخليه . . الله لا يسيئك. . يصهين عني شوية.

أنا بالذات. . لسه بدري قوي. . مايغركشي

فيه حاجات كتيره ما عملتهاش. . ونفسي

fb/mashro3pdf

أعملها.

ومتهيأ لي. . لازم أعملها يا صاحبي. . مفيش

مفر.

إنت نفسك سبق وقلتها:

"الحياة مش بروفة "

تعرف ياد:

موتك خلاني أكتشف أن محي الحياة دول

غلابة قوي.

ووقت الجد. . بيستخبوا زي الفيران.

أما الزهاد العتاولة اللي زيكم. . فمافيش

حاجة بتفرق معاهم

إيه يا مجدي. . إحنا فين. . وأنتو فين؟!

هناء

أنا حزين. ليس فقط بسبب موت مجدي. جيلنا كله بدأ في طريق الموت.

أنا حزين أيضًا على نفسي, لا أدري لماذا. كل شيء يقودني إلى الحزن. هل تستطيعين أن تكتبي لي ولو كلمتين؟

حمدي

أصابني الخطاب بالحزن والألم. تذكرت مجدي فعلا رغم أنني لم أعرفه جيدا. في المرة الوحيدة التي رأيته فيها تخيلت أن وراء هذا الوجه الملائكي المتجهم هما عظيما. آلمني أيضًا ما يعيشه هذا الجيل من الشباب, وتأسيت على حال حمدي فكرت أن أمسك بالقلم وأكتب له, لكني ترددت, لم أكن أعرف ماذا أقول له، الآن. وسرعان ما تلقفني



fb/mashro3pdf

خطاب صفاء الذي نقل إلي إصرار محمود على عدم الانفصال وتهديده بأنني إذا أصررت علية فسيأتي ويأخذ مني الولد..

كنت قد أرسلت إلى صفاء لتحاول إقناع محمود. فهي الوحيدة في أسرتي التي تقف معي في هذا الموضوع. وهذا هو الرد الذي أثار غضبي وحنقي, وفي نفس الوقت زاد إصراري, لأنني اشتممت في الرد نوعا ما من الرغبة في التفاوض. هو يعرف أن التنازل عن علاء ليس في طاقتي, كما أنه ليس من حقه قانونا. أظن أن علاء يمكن أن يكون إشارة إلى رغبته في التنازل عن مؤخري ونفقتي, وربما يريدني أن أتنازل عن شقتي وأثاثي بُعده ولكن – على كل حال – طريق التفاوض مفتوح, وممكن الوصول إلى شيء. وأظن د. سامي يمكن أن يساعدني ولو بالرأي.

طلبتة في التليفون.

- *صباح الخير أنت فين؟*
- *أهه موجودة في الدنيا. حضرتك عامل إيه؟*
- *الحمد لله, ما أخبارك؟*
- *مش كويسة. عاوزة أتكلم معاك شوية. ممكن؟*
- *قوي آهلا وسهلا.*
- *تحب حضرتك امتى وفين؟*
- *ممكن بكرة. الساعة ٨ في نفس القهوة. إيه رأيك؟*
- *كويس قوي. ميرسي. أشوفك بكرة. مع السلامة.*

لم يكن الدكتور سامي يملك سيارة, رغم أن مرؤوسيه يملكون سيارات فارهة. كان يقول وعنده حق أن الإنسان في مدريد لا يحتاج إلى سيارة. فالمترو والأتوبيس في غاية



fb/mashro3pdf

الانتظام والنظافة والراحة. ولكنه لم يكن يستخدم لا المترو ولا الأتوبيس. كان ينفق مبالغ طائلة على التاكسيات وعلى العزائم أيضًا. كان كريما إلى درجة التبذير على ضيوفه, حيث لم يكن يسمح لأحد من الموجودين في أي جلسة بدفع الحساب. وهذا أكد لي زهده الذي فسرت به الاطمئنان الداخلي العميق الذي يبدو في عينيه.إنه ليس في حاجه إلى شيء في الدنيا. لماذا يكتنز المال؟ لا زوجة ولا أولاد.. قال ذات مرة أنه سعيد لأنه يعتمد في حياته على مبدأين, اليأس من أن تعطيه الدنيا شيئًا جديدًا, وطول البال الذي يعطيه القدرة على تحمل هذا الوضع. لا ينتظر شيئا, فإذا جاء فرح به. وإذا لم يأت فلم يخسر شيئا.

في الموعد كان موجوداً. لاحظت أنه عبر عن اشتياقه لي بحرارة. وكنت أنا مزدوجة المشاعر. فقد اشتقت إليه بالفعل بعد فترة غياب طويلة نسبيا, لكن ما مررت به خلال الأسبوع الماضي مع بيتر والجماعة والخطابات التي أزعجتني, جعلت مشاعري إزاءه مضطربة ومشوشة.

لم أحك له موضوع الجماعة, حكيت له فقط مشكلتي مع محمود ووافقني على إحساسي بأن هناك إمكانية للتفاوض فعلاً, ونصحني بأن هذا النوع من البشر يحتاج في التعامل معه إلى مزيج من اللين والحزم. فهذا هو المنهج الوحيد الصحيح في التفاوض, وليس كما يفعل ياسر عرفات مع اليهود, قال الجملة الأخيرة بمزيج من الغيظ والاستهزاء. وكانت هذه المرة الأولى التي يتطرق فيها – معي – إلى الحديث في السياسة. فالمعروف عن الدبلوماسيين أنهم لا يعبرون عن آرائهم في السياسة إلا إذا كانت متطابقة مع مواقف حكوماتهم, أو إذا كان المستمع قريبا فإنهم يعبرون عن الحقيقة.

fb/mashro3pdf

سعدت بهذه الإشارة فمعناها أنه يثق في, ويخمن أنني ممن يرون ألا فائدة من المفاوضات مع إسرائيل. معنى ذلك أنه يعرفني دون أن نلتقي كثيراً. يعرف ما وراء مظهري وربما يدرك تناقضاتي وأزماتي, وربما يتوق إلى لقاء روحي التي تلتقي بروحه في الرغبة عن العالم.

عندما سألته عن سر غيظه من ياسر عرفات. قال أن طريقته ستؤدي إلى ضياع فلسطين لا محالة. وقال أنه رغم عدم انتمائه إلى أي اتجاه سياسي طوال عمره, إلا أنه – كمواطن عادي – ورغم أنه يحب السلام, ووافق على اتفاقية كامب ديفيد, فهو يدرك المأزق الذي وصلنا إليه , ونحن نسلم بكل أوراقنا واحدة بعد الأخرى, دون مقابل حقيقي.

أمنت على كلامه, فازداد اطمئناناً واستطرد في الحديث وتطرق إلى الفساد الذي يسود أنحاء عالمنا المعاصر, والذي لا يترك شبراً من الأرض وخاصة عندنا في مصر, فإن كل المعايير التي تحكم اختبار المستشارين في السفارات بالخارج لا علاقة لها بالصلاحية, بل بالمصالح والعلاقات بالأجهزة الأمنية , وانتبه ليستثني نفسه وقال أن أخاه مسئول كبير في وزارة التعليم العالي, وأنه هو الذي رشحه.

وحكى عن الضغوط التي يتعرض لها كي يدعو مثقفين لا قيمة لهم في المؤتمرات والندوات لمجرد أنهم على صلة بشبكات المصالح والأجهزة, ويتجاهل العلماء والمثقفين الحقيقيين.

وتحدث عن أحوال المعهد الذي يديره, وكيف أنه يبذل كل الجهود مع الإسبان كي يدعموه لأن الميزانية المخصصة له من مصر لا تكفي أجر الموظفين, وعن أحوال المبعوثين في مدريد أو كيف أن معظمهم متخلفون ولاهون عن العلم. كان أثناء ذلك يشرب البيرة بشراهة. وكنت أشرب بتأن وهدوء. ويبدو أن كثرة البيرة قد أثرت فيه, لأننا حين خرجنا



fb/mashro3pdf

من المقهى, دعاني لمرافقته إلى منزله, فرفضت.. فرغم أنني كنت أتوق إلى حضن دافئ منه, إلا أنني خفت منه في تلك الليلة. فقلت له يمكن مرة ثانية.

وأنا في طريقي إلى البيت شعرت ببعض الندم أنني لم أستجب له, فهو مهما كان ليس شريرًا وما كان ليفرض عليّ شيئا لا أرضاه. وحين عدت إلى البيت اتصلت به واعتذرت عن رفضي. فقال طب ما تيجي أو أجيلك. وكان كلا الحلين مستحيلاً بعد منتصف الليل. وبدأت أعاني الاضطراب والتوتر ليس فقط بسبب حاجتي إليه, بل لأن ذهني بدأ في التفكير فيما أعيش بين بيتر وسامي وهاني وحمدي. كل هؤلاء الرجال مرة واحدة, ماذا أحتاج منهم, ومن كل منهم , هل هو نفس الشيء, أم أشياء مختلفة؟

كان علاء عند مليكة وفاطمة. لم أشأ وأنا عائدة أن أمر عليه وأعود به إلى البيت. لا شك أنه نائم الآن. ولم يكن من الحكمة أن أوقظه وأسير في الشوارع في هذا الوقت من الليل. ولكن ليس من الحكمة أيضًا تجاهله على هذا النحو, سوف يأتي يوم ينتقم مني على ذلك. كان من الممكن أن أذهب وأنام أنا هناك أيضًا. لكن هذا لا ينفع الآن وأنا في هذه الحالة من القلق والتوتر.

لم أستطع النوم معظم الليل. كان بداخلي صراع عنيف، وحنق أعنف على نفسي. كيف أتصرف هكذا. إهمال علاء وإهمال الرسالة والوقوع في غرام كل من يعرض عليّ نفسه, أو حتى دون أن يعرض. أراني متلهفة على كل مغازلة, ماذا يعني ذلك هل أنا في حاجة إلى أمان, ليس لدي أي ثقة في نفسي, وهل صحيح ما أبرر به أفعالي لنفسي أن الله راضٍ عني. هل هذا حلال أم حرام؟ دماغي تكاد تنفجر.

ما إن جاءت الساعة السابعة حتى ذهبت لأوقظ علاء وأعود به إلى البيت ليفطر وأعده للذهاب إلى الحضانة.



fb/mashro3pdf

توطدت علاقتي ببيتر في مدريد. كان سهلاً أن أزوره في منزله المتواضع في إحدى الضواحي القريبة من ضاحيتنا، وكان سهلاً أيضًا، أن يأتي لزيارتي. وأحيانًا كنا نلتقي مع مليكة و فاطمة عندهما أو عندي. في البداية لم يكن يبدو عليهما التعجب من علاقتي به، رغم ما يبدو عليها من حميمية تظهر حتى و نحن معهما. علاء هو الذي كان قد بدأ يقلق و يظهر ضيقه، وخاصة حينما يكون بيتر عندنا، في وقت متأخر من الليل.

كان بيتر يحاول أن يجتذب علاء إليه. يحضر له بعض الهدايا، يلاطفه بعربيته المكسرة. لكن علاء لم يكن يستجيب دائمًا، وخاصة عندما يبدأ النوم في مداعبته، ولم يكن يريد أن ينام وبيتر موجود. كان يعبر عن ذلك بوضوح جارح لبيتر أحيانًا. وأنا لم تكن لدي الرغبة دائمًا في الاستجابة لطلبات علاء الذي بدأ يصبح لحوحًا. كنت أخشي أن ينجح في ابتزازي. وكنت في نفس الوقت، راغبة في بقاء بيتر، حتي بعد أن ينام علاء.

تكرر حضن بيتر الجميل في بيته أو في بيتي، أثناء نوم علاء. وأحيانًا كان علاء يصحو ليجدني في حضنه فكان يثور ويغضب ويبكي بحرقة. لم نكن نفعل أكثر من الأحضان، لكنها كانت لذيذة. بيتر شخص لذيذ. هادئ وحالم



fb/mashro3pdf

وحنون، أعيش معه لحظات استراحة. لا أشعر معه بأي قلق. لم يحاول أبدا أن ينزع عني أي جزء من ملابسي، وغم أن القبلات كانت طويلة وممتدة طول الحضن وامتداده كانت نشوة غريبة، لا يبدو فيها أي أثر للشهوة الجنسية. لم أكن أدري كيف يتحول هذا التلامس المادي إلى نشوة روحية صافية، لا نشعر فيها أننا أجسام من لحم ودم.

كان لقائي ببيتر خير تجسيد لانتمائنا إلى الجماعة وقيمها. نحن طاهران، ونحن وحدنا، ومعنا الله. لا نبتعد في أي لحظة، نتهجد معه في محرابه، ونشعر به راضيا عنا و مباركا لفعلنا. ورغم ما يبدو من موافقة مليكة وفاطمة على هذه العلاقة ضمنا، فلم أجرؤ أبدا على أن أخبرهما بتفاصيل ما يحدث.

في بعض الأحيان، كنا نحتاج ونحن في قمة النشوة إلى الخروج للتجول، وكانت أنسب الأماكن لتجولنا هي الحدائق العامة، التي لم تبخل بها مدريد علينا. سواء في داخل المدينة أو ضواحيها. كنا نتجول بالساعات في حديقة الريتيرو أو لاسيبرا وفي حديقة القصر الملكي و بجوار سوره الذي يطل على الغور العميق وكوبري الموت.

كنا نذهب في أوقات مختلفة، وسواء كانت الحدائق مليئة بالناس أو خالية، كنا نشعر أننا وحدنا مع الطبيعة، نستمتع كلنا معا وخاصة أن الإسبان يتدخلون في تنظيم الحدائق بطريقة تبدو طبيعية تماما لا دخل للبشر فيها.

في مرات أخرى اصطحبني بيتر إلى خارج مدريد، إلى طليطلة، وإلى الاسكوريال بقصرها وجامعتها القديمة المباني العتيقة جميلة وقبور الملوك والأمراء. تحفة أثرية بديعة. كان بيتر يحاول أحيانًا أن يجذب انتباهي إلى جمال العالم



fb/mashro3pdf

الخارجي، ولكني لم أكن مهتمة إلا بسعادتي الداخلية معه، كنت أحاول أن أنسي العالم. كانت هذه هي اللحظات التي أعيشها مع نفسي، وأنسي مشاكل عملاء وتناقضاتي الحادة ومشاكل الطلاق، والأخبار التي تصلني من أبي وصفاء ورضا، الذين أصبحت حياتهم شبه خاوية، بدوني وبدون أمي.

لم يكن بيتر يحاول أن يتدخل في حياتي، لم يسألني أبدا عن أية تفاصيل. كان كمن يبدو متدلها في عشق خالص بدون تساؤلات. أنا التي كنت أحيانًا أتذكر شيئا فأحكيه له. حكيت له عن مشكلتي مع محمود، لم أحك له عن علاقاتي الأخرى وهو لم يسأل. بل أن موقفه بخصوص مشكلتي مع محمود كان غريبا. قال اتركيها لله. ما دمنا في حضرته، لا ينبغي أن نعكر صفونا بشيء. هو كفيل بنا.

بدا لي أحيانًا وكأنه ساذج، أو أنه يهرب من مشكلة ما. حاولت أن أسأله ولكنه كان يتهرب من الإجابة، لكن بطريقة صادقة، وكأنه فعلا طلق الحياة البشرية إلى ما لا نهاية، رغم أنه كان يعشق الطبيعة والشراب حتى يسكر. وفي هذه الحالات كان يبدو - أحيانًا - عدوانيا، وتبدو منه بعض التصرفات أو الأفكار الغريبة التي تتنافض مع تصرفاته وكلامه حين يكون يقظا. في هذه الحالات كان ينم عن يأس من الحياة، وإحساس كامل بالغربة في هذا العالم. عالم يبدو أنه قد طرده بقسوة من ألمانيا. ولم أستطع الإيغال في تفاصيل هذه الحكاية التي تبدو أسطورية، التي تبدو فيها فتاة لعوب وأب قاس، لأنه كان يفيق بمجرد أن أستدرجه، ويتركني ويمضي. وتمر أيام دون أن يتصل بي، وكنت أنا من يسعى إليه، محاولة تجاهل هذا الموضوع تمامًا، كي أستعيد حضنه الحنون وقبلاته الهادئة مع الوقت أصبحت علاقتي ببيتر بديلاً عن علاقتي بالجماعة، ليس فقط



fb/mashro3pdf

بسبب السعادة و الهدوء اللذين تسببها هذه العلاقة، وإنما أيضًا لأن علاقتي بالجماعة نفسها قد اضطربت بعدة اجتماعات.

حرصت على الذهاب مع مليكة وفاطمة كل أسبوع. وفي كل مرة كنت أكتشف أشياء جديدة لم أرها في المرات السابقة. اكتشفت أنهم يمارسون طقوسًا غريبة، بدت لي بعيدة عن الإسلام، أقرب إلى السحر أو الشعوذة. وسمعت أدعية وأناشيد بدت لي مشبوهة. وكان تحكم الآمرة يزداد ويكاد يهيمن على سلوكنا و تصرفاتنا. وبدت أحيانًا كمن يحاول أن يدخل في تنظيم العلاقة بين كل منا وربه، وهو الأمر الذي اعتبرته نقضًا لأول مبادئ الجماعة.

حينما تعرفت على بعض أعضاء الجماعة في حياتهم العادية، حينما نلتقي أحيانًا بالصدفة أو حسب موعد مسبق، كنت أكتشف فيهم أشياء لا تتفق مع ما يبدون عليه أثناء اجتماعاتنا. وجدت بعض النساء- مثلاً – يتكالبن على مظاهر الحياة. و يسرفن في اقتناء المجوهرات والملابس. ووجدت بعض الرجال ينغمسون في مجال المال و التجارة وأشياء شبيهة.

كانت هذه الممارسات تمثل لي صدمات عنيفة تحطم الحلم الجميل الذي تصورت أنني حققته بانتمائي إلى الجماعة. هذه التناقضات الفظيعة جعلت ثقتي في العالم، التي كنت قد امتلكت بعضًا منها، تهتز، ويصبح يقيني أن العالم، كل العالم شرير. لولا وجود بيتر، لكنت قد انهرت. كان بيتر، رغم أزماته، يمثل لي صفوة الحلم، ومكسبي الكبير الذي خرجت به من صلتي بالجماعة. فاكتفيت به، وقل ذهابي إلى اجتماعات نهاية الأسبوع.

fb/mashro3pdf

هو أيضًا لم يكن يذهب في كل المرات. أحيانًا كنا نقضي معظم نهاية الأسبوع معًا. وذات ليلة سبت كنا معًا في بيتي، وكان علاء مع مليكة وفاطمة في اجتماع الجماعة، كان هو الذي اختار الذهاب معهما. كنت سعيدة مع بيتر، وأشعر بالتحرر من علاء الذي أصبحت علاقتي به أكثر توترًا، وأصبح هو غير راغب في رؤية بيتر تقريبًا. ولكني لم أكن قادرة على التوقف عن رؤيته، كان يفتح لي آفاقًا جديدة طوال الوقت.

في تلك الليلة، كنا هادئين وصافيين وفجأة نبتت في ذهني الرغبة في الرقص، تذكرت رقصتي التي لا تنسي في منزل صديق محمود. أعربت لبيتر عن هذه الرغبة فبدا غير متحمس في البداية، ولكنه وافق، بعد أن وجد – في ذهنه- مكانًا هادئًا نستطيع أن نرقص فيه – بعيدًا عن ضجة بارات مدريد – رقصتنا الخاصة.

كان مطعمًا بعيدًا نسبيًا عن وسط المدينة ولكن كان علينا أن نمر به. كان وسط مدريد صاخبًا بالضوضاء والأضواء و البشر. الجميع في طريقهم إلى الرقص والبهجة، يريدون ملابس متنوعة بين ملابس السهرة، والبلو جينز والـ تي شيرت. ويبدون في تلك اللحظة، بشرًا مختلفين عن هؤلاء الذين تراهم صباحًا في أعمالهم، بعيدين عن الجهامة وتقطيب الجبهة والحزم.

حين وصلنا إلى المطعم بهرني منظره، مطعم قديم، بسيط، خافت الأضواء، هادئ رغم أنه لم يكن خاليًا من البشر. أهم ما يميزه أنه كان بعيدًا عن الموسيقي الصاخبة الحديثة، بمجرد جلوسنا ارتقت روحي – وكانت مؤهلة – إلى أعلى درجات الصفاء، كانت موسيقي صوفية هندية تغمر المكان بالهدوء والسكينة.

fb/mashro3pdf

لم يكن مكان الرقص كبيرًا. في وسط المطعم، أزواج قلائل يرقصون وكأنهم يصلون، يبتهلون متعانقين، كما لو كانوا متوحدين، لكن وحدة الروح، وليست وحدة الجسد. مع بيتر تحاضنّا وهامت روحانا في صمت تام، لكن طول الحضن وتأثير النبيذ ولّدا لديّ لذة من نوع مختلف عن ذلك النوع الذي عشته في كل الأحضان السابقة. استيقظ الجسم وتلاحم مع الروح في نشوة جديدة، فوجئت بأن بيتر هو الآخر يعيش نفس الحالة، لأني شعرت بعضوه

– لأول مرة – ينتصب في مواجهة سرتي. واصلنا الرقص فترة قصيرة، ثم عدنا إلى المائدة.

بعد العشاء، عدنا إلى منزل بيتر. كان ثمة قلق في مشاعرنا. فرغم امتداد التواصل الروحي العميق، كانت رغبة قد تولدت لدي كل منا. كان هذا واضحًا في الملمس المختلف ليديه، ولقبلاته، حتى في الشارع. وحين دخلنا المنزل احتضنني بقوة لم أعهدها فيه. كنت أيضًا أحتاج إلى هذا الحضن، لكنه بدأ يقلقني ويخرجني من حالة الصفاء الروحي. بدأ جسمي يشتعل. ولم أكن مدركة إلى أي مدى سوف أستطيع مقارمة جسد بيتر القوي الشهي. لكني تسلحت بثقتي فيه. طوال علاقتنا لم يرغمني على فعل شيء. المشكلة في أنا الآن. أنا التي ترغب، ربما أكثر من رغبته. كان بيتر يضمني بقوة ولكن في صمت. قررت أنا أن أتكلم. كان عليّ أن أقنعه أنني أريده مثلما يريدني، ولكن هناك أشياء في جسدي لا أمتلكها، وأن عليه أن يقدر ذلك. بدا متفهمًا، وحين دخلنا إلى السرير، كانت أول مرة أدخل في سرير غير سريري، استمر يحضنني ويقبلني ويلعب في ثديي وبطني وبين الساقين. كنت مسترخية ومستمتعة، لأنني وثقت

fb/mashro3pdf

في وعده. كانت لذتي تتواصل لحظة بعد لحظة حتى اكتملت، وبدأ النوم يغزوني. واصل بيتر المحاولة، وحين لم يجد استجابة. أعطاني ظهره ونام.

في الصباح استيقظ قلقًا متجهمًا. وكنت هادئة مسترخية. أدركت أنه لم يصل إلى ذروته. استلقيت بملابسي على السرير، ودعوته إليّ. استلقى بجواري، وضم صدري بين ذراعيه. وضغط عضوه بين فخذي، واستمر يضغط بقوة وصمت، دون أن يحاول الولوج، فقط خلع سرواله وأزاح قميصي عن فخذي وأخذ يتحرك فوقي يمينا ويسارا حتى شعرت بالسائل الدافئ يغمر فخذي، انتظرت حتى هدأ وترك حضني، فقمت وذهبت، إلى الحمام كي أتطهر.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

اتصل بي الدكتور سامي وأخبرني بأن المعهد يعد لرحلة إلى الأندلس للمبعوثين وأنه سيذهب معهم. وفورا رجوته أن يدرج اسمي ضمن الأعضاء.

كانت رحلة جميلة ممتعة وقاسية. ربما كانت أهم رحلة في حياتي.

في قرطبة أقمنا في فندق قديم بجوار المسجد الكبير. تجولنا في شوارعها القديمة الضيقة، شاهدنا منزل ابن رشد وزرنا حدائق القصر الملكي. ثم زرنا المسجد من الداخل. لم يعد مسجدا. تحول إلى كنيسة ومتحف مليء بالصور والتذكارات. أمام اللوحة التي يسجد فيها ابن عبد الله أمام الأمراء المسيحيين عند أقدامهم، بكيت، وتذكرت كلام هاني- شعور حزين موجع ومضن. كيف تبني الكنيسة داخل المسجد وأين التسامح الذي يدعيه العلمانيون الديمقراطيون.

في غرناطة كان الشعور بالجمال والحزن أفدح. الحمراء تحفة لا مثيل لها في كل الدنيا. وقفنا ساعتين في طابور طويل لنحصل علي تذاكر الدخول. الإسبان وأبناء دول الاتحاد الأوربي يحصلون علي تخفيض. العرب الذين بنوا كل هذا لا تخفيض لهم.

الحدائق آية في الجمال تنسيقها، أنواع الأشجار، ترتيبها، القصر وأجزاؤه، كل هذا يقول أن الذي أنجزه كان — لا شك — عبقريًا. أصداء الموسيقي الأندلسية التي تنساب في جنبات المتحف بهدوء. من الذي صنع هذا هل هم العرب حقا هل هم



fb/mashro3pdf

العرب الذين هم نحن الآن، أم عرب آخرون، عرب تفاعلوا مع الحضارة الإسبانية وامتزجوا بأبنائها. يقولون أن إبداع هذه الحدائق والقصر، كان مقاومة للموت. ظل الملوك العرب يعيشون سنوات وهم يعلمون أنهم هالكون لا محالة، بعد أن استولي المسيحيون علي كل الممالك، ولم يبق إلا غرناطة. وما كان أمام العرب إلا مقاومة الموت بعمل يخلد ويخلدهم. إذا كان كذلك، فلا مانع، شيء جميل، أما إذا كان الملوك قد استعانوا بالإسبان فهذا شيء آخر. وأنا بالأمانة أميل إلي هذا الرأي.

ساهم الإسبان أو على الأقل المولدون في صنع هذا الصرح العظيم. وأن يبقي هذا الصرح على هذا النحو من الجمال حتي الآن، فهذا لا شك يحسب للإسبان الذين حافظوا عليه بعد هزيمة العرب. عنده حق هاني. يمكن لو كانوا العرب فضلوا ما كانوش قدروا يحافظوا عليه بالطريقة دي.

كان الدكتور سامي أثناء الرحلة بعيدا وقريبا في نفس الوقت. كان حريصا على ألا يقترب مني على نحو يلفت الأنظار، ومع ذلك كنت ألاحظ أنه يراقبني عن بعد و يختلس اللحظات التي نكون فيها وحدنا ليقترب مني. كنت أشعر دائمًا بوجوده بجواري في لحظات الحزن، وكأنه يحاول أن ينقذني من اكتئاب لا شك أنه مر به أثناء زياراته السابقة للجنوب. مرة واحدة فقط حاول أن يدعوني إلى غرفته. ولكن لم يكن ممكنا أن أترك علاء وحده بالليل.

انتهت الرحلة باشبيلية ولم نقض فيها وقتًا طويلاً. سحابة نهار شاهدنا الفريا، هذا الاحتفال الشعبي الابريلي كل علم بالملابس التقليدية المبهجة و الرقصات الشعبية الجميلة، وأنواع الأطعمة والمشروبات والصناعات التقليدية. كان يومًا جميلاً رغم حرارة الجو. هناك شعرت أنني استعدت إسبانيا التي كانت في مخيلتي قبل أن آتي إليها، في



fb/mashro3pdf

الجنوب كله كان ينتابني شعور بأنني في منطقة عربية. ورغم أن الناس لا يعرفون العربية، إلا أنهم يحبوننا ويشعرون بصلة الدم بوضوح. وقد سمعت أن مجلس النواب المحلي قد طالب بأن تكون العربية لغة رسمية للجنوب، وأظن أن هذا نوع من التزيد لا أصدقه.

في طريق عودتي كنت أشعر بحالة من التمزق المؤلم لا أدري لها سببا واضحا. فقد كانت الرحلة جميلة، ومعظم الزملاء كانوا ظرفاء، بما فيهم الدكتور سامي. وعلاء انبسط جدا مع الأطفال الآخرين. أما أنا، فيبدو أن الحزن الذي أصابني كان قاسيا، بحيث لم أستطع التغلب عليه. دخلت في حالة من الاكتئاب، لم تفلح معها محاولات الدكتور سامي، حتى لمغازلتي متخليا عن وقاره المصطنع، أو محاولات الزملاء للثرثرة معي، أو إعلان التعاطف مع حالتي، بزعم أنهم يعيشون مثلها. لم أكن أصدقهم. من رأي ما رأيت، وسمع ما سمعت. لا يستطيع أن يخرج بعد الآن ضحكة صافية من قلبه.

أكاد أصل إلى يقين أنني لن أستطيع الحياة في إسبانيا بعد هذه الرحلة. لا أستطيع فهم كل هذه المتناقضات، ليس فقط في إسبانيا. بل في داخلي. التناقضات التي فجرتها الحياة الإسبانية في داخلي.

في لحظات كثيرة تذكرت هاني، في لحظات أخرى تذكرت بيتر، وكنت أتمنى لو كان موجودا معي لأعرف شعوره هو القريب مني، وفي نفس الوقت أوربي. كنت أريد أن أعرف هل يشعر الأوربيون الذين يعتنقون الإسلام بنفس شعور العربي المسلم. لا أدري لماذا كان حضنه قريبا إلى نفسي.

fb/mashro3pdf

اللحظات النادرة مع الدكتور سامي أيضًا كانت دافئة وتمنيت فعلا لو استطعت الاستجابة لدعوته إلي الغرفة. حمدي أيضًا لم يغب عن بالي. بالعكس جاءني حزنه العميق يسندني في لحظات كثيرة. لا أدري لماذا تصورت أنه هو الوحيد الذي كان يمكن أن يكون في نفس موقفي. لا. ليس تصورا. هو حقيقة. حمدي فعلا قريب من نفسي جدا، و يستحق مني اهتماما أكثر. شعرت بالندم أنني لم أكتب ولو رسالة واحدة له حتى الآن.

أنا أنانية وفظيعة رغم ما يبدو عليّ من كرم. أستغل الناس ولا أعطي إلا ما أري أنه سيفيدني بالفعل. هل أنا كذلك حقا، أم أنني مريضة، لا أدري؟

عدت من الرحلة وقد تضاعف شعوري بالقلق والتوتر. أصبح الحزن هو السمة الأساسية الآن، الشعور باللاجدوي ولا سعادة في أي شيء حياة مملة وكئيبة، لا أدري ما أفعل بها. خبر وحيد أسعدني، ولكن سعادتي، به لم تكن مثلما توقعت قبل ذلك. وافق محمود علي الطلاق بشرط التنازل عن كل حقوقي لديه، وأن يري علاء وقتما يشاء. قال أنه سيأتي إلى مدريد لرؤية علاء وإتمام الإجراءات في السفارة.

لم أجد مبررا لأخبر علاء بهذا التطور. فنحن علي كل حال بعيدون وحين يأتي محمود يحلها ربنا. ولكن علاء ظل قلقه و توتره بل زاد، وبما انعكس عليه قلقي وحزني. حاولت أن أبذل مجهودا للاهتمام به، لكني فشلت، لم تكن لدي القدرة علي الاهتمام بأي شيء، سوي انسياقي فيما أعيش دون تخطيط أو ترتيب.

حاولت فاطمة ومليكة مساعدتي دون جدوي. ولما كنت قد أهملت جماعتهم، فقد قل اهتمامهما بي وبعلاء إلي حد كبير. وزاد هذا من توتر علاء الذي كان قد

fb/mashro3pdf

تعلق بهما جدًا. وألقي هذا علي عبئا إضافيًا، علي الأقل من حيث الوقت، إذ لم يعد هناك من أستطيع أن أترك علاء معه دائمًا بعد فترة الحضانة.

مع استمرار التوتر زادت عدوانية علاء معي، وأصبح قاسيا يوجه إلي كلاما جارحا، أقسي كلام جارح يمكن لطفل أن يدركه... يبدو أنه لم يعد طفلاً. عركته التجارب القاسية التي مر بها معي. صار يحاسبني علي سلوكي، خروجي ودخولي، وعلي ملابسي، بعد أن تحررت من الحجاب واكتفيت بإيشارب خفيف يكشف جزءا من شعري ونحري. استخدم أحيانًا كلمات لا أعرف من أين عرفها: يا صايعة. ربما خزنتها ذاكرته من أبيه.

أصبحت في نظره منحلة. وكنت أشعر مع نفسي أحيانًا أنه معه حق. وأن انتقامه مني بديهي.

جلست إلي أوراقي وكتبت إلي حمدي:

عزيزي حمدي:

وصلني خطابك وأحزنني حزنًا عظيمًا علي مجدي وعليك، وعليّ أنا أيضًا فلست بعيدة عن همومكم، بل ربما أعيش أضعافها. إنك لم تصدق كم الأزمات التي عشتها منذ وصلت إلي هنا، بالإضافة إلي ما تعرفه عن أزماتي السابقة. تفاقمت المشكلات وتكومت بداخلي إلي درجة أنني لم أعد أعرف كيف أعيش وما إذا كنت سأستطيع الاستمرار في إسبانيا أم لا، وفي نفس الوقت أعرف جيدًا أنه لا جدوى من العودة إلى مصر. لا شيء جديد أنتظره هناك، ربما تكون أنت الوحيد الذي أشعر أنني في اشتياق إليه. حدثتني نفسي كثيرًا أنك أقرب الناس إلي. وأنني ربما كان ينبغي أن أقدر ما بيننا أكثر مما فعلت. أشعر الآن أنني في حاجة شديدة إليك. كان حزنك معي



fb/mashro3pdf

طوال رحلتي الكئيبة في الأندلس. أجمل بلاد الله علي الأرض. أضعناها وضعنا معها. ولا أمل في النهوض بعد ذلك.

أنا آسفة يا حمدي أزيد حزنك، لكني أعبر لك بصدق عما أعيشه. الخبر الوحيد السار هو خبر طلاقي من محمود. تصور النذل طلب مني التنازل عن كل شيء. مش مهم. المهم عملاء معي وأنا سعيدة بذلك، وإن كان هو الآخر لم يعد سهلاً في التعامل، أصبح شديد القلق والتوتر والعدوانية، وأنا لا أعرف كيف أتصرف معه. في الحضانة أرسلوا عدة مرات يشكون سلوكه ويحذرونني من مغبة تجاهل هذا الوضع.

ما أخبارك أنت. أخبار قصصك ومعهد ثربانتس وزهرة البستان. أرجو أن تكون قادرًا علي الاستمرار في إبداعك علي الأقل.

أنتظر منك ولو كلمات. مع أشواقي.

هناء.

طويت الخطاب، ووضعته في مظروف. ودسسته في درج مكتبي. لم أكن أدري علي أي عنوان أرسله. بحثت عن خطاب حمدي. فوجدت أنه هو أيضًا قد نسي أن يكتب عنوانه علي المظروف.

fb/mashro3pdf

منذ وصلت إلي إسبانيا، لم يحدث أي اتصال بيني وبين هاني ولذلك كانت مفاجأة لطيفة أن أستقيظ في الصباح علي تيلفون يحمل صوته:

- *صباح الخير*
- *إنت فين؟*
- *جنبك في مدريد*
- *مش معقول مفاجأة هايلة. جيت إمتى؟*
- *جيت من أسبوع بس ماكنتش لاقي تليفونك. أخدته إمبارح من المكتب الثقافي*
- *حمد الله علي السلامة وجاي إيه زيارة لحبيب القلب؟*
- *أيوة. وليك إنت كمان. مش يقي جميل نشوف بعض خارج مصر!*
- *جميل جدا ياريت. إمتى هاشوفك؟*
- *النهاردة لو حبيتي!*
- *عندي معاد بس ممكن أأجله. إمتي تحب؟*
- *نقول مثلا ١٢. إنت ساكنة فين؟*
- *في آخر مترو ٥ وأنت؟*
- *لا. أنا في وسط البلد. تيجي نتقابل في البلاثا مايور؟ تعرفيها؟*



fb/mashro3pdf

- *أيوة طبعا*
- *تعرفي إيه فيها؟*
- *أعرف قهوة كيخون*
- *خلاص. نتقابل هناك*
- *OK. الساعة ١٢*
- *مع السلامة.*

وكان اللقاء جميلاً. كان واحشني جدًا، وواضح إني كنت وحشاه. تحدثنا كثيرًا عن أحوالي في مدريد. ولكن لم أحك له لا عن بيتر ولا عن سامي، وإن كان هو حاول أن يعرف حين سأل عن علاقتي بالمكتب الثقافي والدكتور سامي. قلت أنه كان لطيفا معي وساعدني في حل كثير من المشاكل. وحكيت له عن تطورات موضوع الطلاق الذي بات وشيكًا. ولم أكن أستطيع الحديث معه عن توتراتي وقلقي. وحكي لي عن الأحوال في مصر. من سيء إلي أسوأ. وتحاشي الكلام عن علاقته بزوجته. قال إنها كما هي، لا جديد فيها. لكنه مع ذلك يحن إلي أحضاني وقبلاتي. وكنت أنا أيضًا في شوق إليه. قال إنه بعد إنتهاء إشرافه علي أصبح يشعر بأنه أكثر حرية في علاقته بي، وأننا الآن نستطيع أن نصبح أصدقاء حقًا.

عرض عليَ الذهاب معه إلي بيته، يقصد بيت زوجته. فرفضت أكد لي أنها لن تعود من عملها قبل الخامسة، ولكني كنت قلقة، فحاول أن يقنعني بكل الطرق. كانت مقاومتي أقوي من ضعفي إزاءه.. وأخيرًا اقترحت عليه أن يتم ذلك في يوم آخر، وفي وقت مبكر، حتي يكون لدينا وقت كاف.

في اليوم التالي مباشرة، في منتصف الأسبوع التقينا صباحا عند محطة المترو القريب من بيته، واصطحبني إليه . كان بيتا جميلا في بناية قديمة في أحد الشوارع



fb/mashro3pdf

المتفرغة من البلاثا مايور، تلك الشوارع التى كثيرًا ما تجولت فيها في الشهور الماضية، دون أن أتخيل أننى سأدخلها يوما. كنت أعرف أنها لأغنياء مدريد وخاصة المتوسطين منهم، وأني لي أن أعرف هؤلاء لأدخل بيوتهم.

كانت شقة صغيرة بالدور الثالث، حجرتان وصالة لكن توزيعهما لطيف، والأهم من ذلك أنها مؤنثة على نحو آسر. في الصالون ظهرت أرستقراطية الذوق، عناصر قليلة من الأثاث وبسيطة، هادئة الألوان، موزعة توزيعًا متناسقًا. كذلك المكتب. حاول هانى أن يدخلني غرفة النوم لكنى رفضت، ولم يلح هو، وبقينا في غرفة المكتب التى تضم، مع المكتبات، مكتبا صغيرا وكرسيين، ثم كنبة استوديو، جلسنا عليها متجاورين.

كان القلق ما يزال مسيطرا عليَّ، ولكن الوقت والحديث والقبلات الهادئة ثم المحمومة، زال اضطرابى، واستسلمت لذراعيه تحصراني بحنان وقوة ووجدت نفسي أستجيب له وهو يخلع عن رأسى الإيشارب، ثم يفك أزرار البلوزة ليخلعها عن كتفى ليخلو له السبيل إلى ثديه الأيسر، وأخذ يدغدغ حلمته ويمتصها. ثم استجبت له حين فك أزرار الجونلة وحاول خلعها بصعوبة.

أخيرا كنت بين أحضانه عارية إلا من السروال. ورغم نشوتي التى كانت وصلت إلى حد السكر، انتبهت مذعورة حينما حاول أن يخلعه. ابتعدت عنه لكن هذه المرة كان مصرا، وبدأ يتحول إلى العنف، قاومت مقاومة الضعيف وأخيرا استسلمت، معتمدة على قوتي الداخلية. لا أحد يمكنه أن يلجني دون إرادتى وعدت إلى الاستسلام لأحضانه وقبلاته. وكان هو يزداد هياجا كلما ضممت ساقي على ما بينهما بقوة، حاول أن يقتحم السد المنيع، دون جدوى. كنت قد خطت فرجي.

fb/mashro3pdf

كنا نتصبب عرقا وبدا الإنهاك واضحا عليه، والحنق، وكان من الواضح أنه يفكر في طريقة للخروج من المأزق . فاقترح أن ينام معي من الخلف، في البداية رفضت ثم قبلت بشرط . وقَبِل الشرط .. ولكن فجأة. ولا أدرى كيف حدث ذلك، وجدت ذكره بداخلي، وهو يقذف. ذعرت مما حدث، وحاولت التملص منه، لكن قوته في الإمساك بي لم تترك لي أدنى فرصة للمقاومة. فانتظرت حتى انتهى واسترخى، فقمت مسرعة تطهرت بمناديل ورقية، وارتديت ملابسي، وخرجت أعدو.

fb/mashro3pdf

عذاب أقسى من أن يستطيع إنسان تحمله. ماذا فعلت، كيف وصلت إلى هذا التدني. كيف أقبل بذلك، ماذا أفعل بنفسي في هذه الدنيا الغائمة المضطربة؟ أحب كل هؤلاء الرجال، ويعطيني كل منهم شيئا مختلفا أحتاج إليه. ولكن أن يصل الأمر إلى حد الزنا، هذا ما لا يمكن احتماله. إنه الخيانة العظمى لحبيبي، الذى زاد حبى له مع اكتشافي لطريق الجماعة.. لكن هذا الطريق لم يعصمني مما زللت إليه. ماذا أفعل؟

في كل اللحظات الحالكة في حياتي، كان ملاذي، وكان دائمًا رحيما وغفورا. ارتكبت آثاما لا حصر لها إلا الزنا هذه المرة (هل هي اغتصاب؟) أن أقبل شخصا أو أحتضنه أو حتى ينام فوقي كمان كان خالد أو هاني أو بيتر يفعلوا، ليس زنا. وأنا لم أقبل حتى الآن. بل إن القبل والأحضان لم تكن تثير في غريزة الجنس القميئة. كانت حنانا وأمانا. فهى بريئة مهما كان عنفها وقوتها .

كان حبيبي يسمح لي بذلك، هكذا كنت أشعر دائمًا. كانت سعادتي صافية وضميري لا يؤنبني. كنت أعرف أنه يسامحني. وهو نفس الشعور الذى عشته مع الجماعة وأنا أرتل الأناشيد وأقرأ الآيات، ومع بيتر. كانت النشوة واحدة في كلتا الحالتين. كنت في الحالتين أتوحد معه. ولم تكن هذه النشوة تنقص إلا في حالة



fb/mashro3pdf

دخول شخص آخر بيننا. أن تصر آمرة الجماعة على الدعاء بطريقة معينة لا ترضي سواها. أو أن يصر هانى على انتهاك السر الأكبر بينى وبين حبيبي: الفرج .

الآن أعيش عذابي، ختنه، في الحقيقة ليس رغم أنفي تماما. لا يستطيع رجل ولوج امرأة، ما لم تكن راغبة بدرجة ما، وهذا هو ما يعذبني، ومع ذلك فليس لي ملاذ سواه. هل يقبل توبتي.!

أهملت علاء، وأهملت دراستي، وتمزقت أشلاء روحى سعيًا في طريق أبدو مجذوبة إليه دون إرادتي، راضية به دون أن أعرف ماذا أريد منه أو كيف أسير فيه. عما أبحث لدى كل هؤلاء الرجال؟ هل أبحث عن الحنان والدفء والأمان. ولما أنفر إلى هذه الدرجة من الفعل الجنسي. لا أدري.

حبيبي غاضب مني. لا يريد أن يساعدني. فماذا أفعل؟ كياني يكاد يتفتت، وعقلى لم يعد قادرًا على السيطرة .

لم أجد لدي رغبة في التعامل مع أى رجل. لجأت إلى فاطمة ومليكة. لكن لم أكن قادرة على الكلام. تصورا أن السبب هو علاقتي ببيتر، أعتقد أنهما كانتا قد لاحظتا أن علاقتي به قد توطدت أكثر مما ينبغي وبدتا قلقتين ولكنهما لم تفاتحاني في الأمر. تركتهما على وهمهما، على كل هو أهون من الحقيقة، أخذتانى إلى الآمرة التى حاولت أن تعيدنى إلى الجماعة. لم تفهم المشكلة. أنا ساعية مطواعة وذليلة لحبيبي، لكنه هو الذى يرفض توبتي. لا يقبل شريكًا .

لا أستطيع أن أفعل شيئًا ولن يستطيع أحد مساعدتي.

نفذ السهم، وما من سبيل .



fb/mashro3pdf

الثالثة صباحًا. ليل مدريد قاس. أنتظر -

وحيدة - موعد السحور. علاء نائم على السرير، وأنا

مستلقية على فوتيل مجاور. ضوء خافت. وأنا بملابس

النوم. لن يأتيني أحد بعد الآن. التلفونات أيضًا توقفت

قبل ساعة. حتى الصائمون مثلي لا ينتظرون موعد

السحور، يأكلون في أي وقت وينامون. وراءهم

أعمال غدًا. أنا ليس ضروريًا أن أكون مستيقظة تمامًا

في عملي. لا شيء يستحق اليقظة. والنوم أصبح

عزيز المنال.

التجليات
Al Tagalyat
للنشر والترجمة والتوزيع
altagalyat2012@gmail.com /01061115592

fb/mashro3pdf